مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

الحب والرعب

2

كاهنة التيتانيك

Looloo
www.dvd4arab.com

سالى عادل

كاهنة التيتانيك

عن الحب والرعب ..

كنت أود أن أقول :

من قال أن الحب ليس مرعبًا ؟ أنت فتى كبير ومسئول ، فهل تستطيع رعاية من تحب ؟! هل تستطيع أن تنقذ فتاتك من الأوغاد واللصوص وقطّاع الطرق ؟! هل تستطيع أن تجنّبها السيارات المسرعة والأمراض والكوارث ؟! هل تستطيع أن تحميها حتى من نفسك ؟! أنت تنظر للباكين من فراق أحبائهم وترتجف خوفًا أن تهجرك ، أنت حتى لا تفكّر أن ثمة اختراع يسمى (موت) يتسبب فى فراق الأحباء ! هل تخاف أن تتركك وتموت ، هاه ؟! إذًا ، كيف يكون شعورك .. لو تركت الموت ، وعادت إليك ؟!!

فقط ، كنتُ أتساءل .

Looloo
www.dvd4arab.com

عن لعنة (ليلى برهان) ..

استمع لى ، أنت تهمنى ، لو لم تكن تهمنى ما كنتُ لأنصحك : ابتعد عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) لا تملك روحًا مثلنا ، إن لها نصف روح فقط ، والنصف الآخر حمله وفرّ به من يدعى (سامى عزيز) .

(ليلى برهان) لا تملك عمرًا مثلنا ، إن لها ربع قرن أخذته كاملاً وأنكرته ، ربع قرن لا تفعل شيئًا سوى اتساع العينين وسقوط الفك مع الارتجاف ، ثم الجلوس لأقرب مقعد تحكى لأول عابر عمّا أصابها ، ولا تنسى أن تخبره أنها لم تأخذ شيئًا من العمر ، ويمكنها أن تصوّب عينيها الكاذبتين إلى عينيك لمدى ما شئت دون أن تطرُف ؛ تقول إنها تريد عمرها .

(ليلى برهان) لا تملك اسمًا مثلنا ، إن اسمها ميراث من الماضى والحاضر سيحنى ظهرك ، ومتاهة من كتب النثر والشِّعر ستدير رأسك ، وأنشودة من أناشيد الحب والرعب سترجف بدنك ، ترعُد عظامك ، تذيب أعصابك ، تجمّد دماءك ، تزيغ بصرك ، تشيب شعرك ، تخبّط أسنانك ، تفكك ركبك ، تنحل

وبرك ، تقصف عمرك ، فتحلى بالحكمة وانفذ بجلدك من (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب الوقت ــ شعرها قصير ، يشاهدونه فى أوقات طويلاً . عينها سوداء ، تبدو فى مرات خضراء . وزنها مثالى ومع هذا تتبع حمية ؛ لأن الميزان يخبرها عن ضعف وزنها .

(ليلى برهان) ــ أغلب الظن ــ تعمل نادلة ، إنهم يشاهدونها تدخل وتخرج من مطعم غريب تحوم حوله القطط السوداء : ورديات عمل مسائية ، زبائن غرباء الأطوار ، وتقطيبة دائمة على جبينها ــ كما التعويذة ــ تطرد الأرواح الشريرة ، ومع هذا تجذبك أنت ، لأن روحك ليست شريرة ، وعودك الأخضر سينثنى على يديها حتى تسمع الطقطقة ، فتشبث بجبل يعصمك منها واركض إلى أبعد ما يمكنك عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب العمر ــ تجلس وحيدة ؛ ولذلك لا أفهم بالضبط سبب ضحكها فجأة ثم تكويرها قبضتها لتدفع بها فى كتف خفى ، لا أعرف سر توقفها فى الطريق لتحية من لم يوجد ، أو مغزى ردها على الهاتف حين لا يرن

Looloo
www.dvd4arab.com

استمع لى ، لا تستمع إلى (ليلى برهان) !

ستندهك كما النداهة وستنجذب لها كما المجذوب . ستركض أميالاً خلف كلمة من شفاهها حين تنطق ، وستدمن حميميتها حين تنصت إليك بوجل ، وتجيب أحزانك بهمهمة لا أكثر لكن فيها كل المواساة ، وحين تصمت أنت ، سترفع إليك طرف عينها هامسة : « وماذا بعد؟ » ، وستجد أنك تسترسل فى الحكى حتى لتفتح قدس أقداسك ، وتفصح عن سر أسرارك دون أن تعى ، ثم تسكب فوقه روحك فى فنجان وتقدمه لها . ثم أخبرنى بعدها كيف ستعيش من دون روح .

ستحبها ، ولن تقدر أن تخبرها أنك تحبها ، ستكتفى منها بتربيت كتف الأصدقاء ، ستكتفى أن تلمح قلقها عليك إذا ما سعلتَ وركضها لتجلب كوبًا من الماء والدواء ، تكتفى أن تحدّثها عن صديقك الذى يحب من طرف واحد ، وتحدّثك هى عن أحبّائها الجدد الذين لستَ أحدهم . وفى اللحظة التى تقرر بها أن تتغلب على مخاوفك وتصارحها بحبك ستتراجع سنتيمترات للوراء ، ترسم الدهشة على وجهها فى حين تخبرك فيما يشبه الحرج : « ولكنى حكيت لك عن حبيبى الجديد » .

وستعرف أنت أن حبيبها الجديد هو غريمك القديم هو عدوّك الأوحد ، هو من يدعى (سامى عزيز) ، وأنّ كل حبيب غيره يأتيها حاملاً حياته على كفّه ، فتنتقى منها بعض الدفء ، بعض السعادة ، بعض الصبر على فراق (سامى عزيز) ، ثم ترد إليه كفّه . وأنت مسكين يا أنت . أنت اسمٌ على قائمة أطول من الليالى السوداء التى تنتظرك فى عشق (ليلى برهان) .

ستعلم ــ متأخرًا ــ أننى صدقتُ حين أخبرتك أن (ليلى برهان) ملكة الاحتمالات وسيدة التناقضات وبطلة الحكايات غير المكتملة ، إنها حنونة وقاسية ، وإنها قد تحبك ، وقد لا تأبه بك على الإطلاق ، ستعرف أنها ناعمة كالثعابين ، ودمعتها قريبة كالتماسيح ، وقليلة الحيلة كما الـ (أنثى) ، أقول لك : أ ــ ن ــ ث ــ ى ، وأنت تعرف كم عظيم كيدهن !

ولن تعرف ، لا أحد يعرف لماذا تستخدم تلك البريئة أناملها الصغيرة لتكتب الرعب دونًا عن الأنواع الأخرى ، لا أحد يفهم لماذا تستخدم صوتها الرقيق لتقرأه على نفسها قبل الآخرين ، ولا أحد يلمح التماع عينها باللذة حين ترتجف خوفًا من حرف كتبته بنفسها .

Looloo
www.dvd4arab.com

انتبـــه لى ..

أنا هنا فى الظلام أتكبد نصيحتك ، وأنت تسعى بإصرار لأن تصيبك لعنة (ليلى برهان) ، ألم تحاول أن تسأل نفسك :

لماذا تترك (ليلى برهان) العمل فى مجال دراستها كصحفية واعدة وتفضّل أن تعمل نادلة فى ذاك المطعم المريب !

لماذا تترك البشر على الأرض وتصادق شبحًا على الإنترنت تناديه (فانتوم) وتبث إليه حكاياتها عن عوالم لا أدرى كنهها ، وشخصيات ليست على ما يُرام ؟

لماذا تتزوج بواحد فى حين تهيم بآخر ، ثم يظل بقلبها متسع لـــ (عاصم) و(نائل) و(إيهاب) و(فريد) و ... أخشى أن أنسى أحدهم ؟!

ولماذا بعد كل هذا ، تظل تأمل أنت ــ فى أسعد أحلامك ــ بأن تصير أحدهم ؟!

ألم يخطر ببالك مرّة أن تسأل تلك الأرملة الحزينة المسماة (ليلى برهان) :

كيف صارت أرملة بعد زواجها بهذه السرعة ؟ وأين ذهب الطفل الذى كانت تحمله ببطنها ؟!

لم يعد هناك وقت ، استجب لى ، لا تقترب من (ليلى برهان) ، لا تعبر بشارع عبرت به (ليلى برهان) ، لا تبحث فى ذاكرتك ، لا ترسم فى مخيلتك ، ولا تردد فى خاطرك جملة تحمل اسم حبيبتى (ليلى برهان) .

بإخلاص ..

أحدهـــم .

Looloo
www.dvd4arab.com

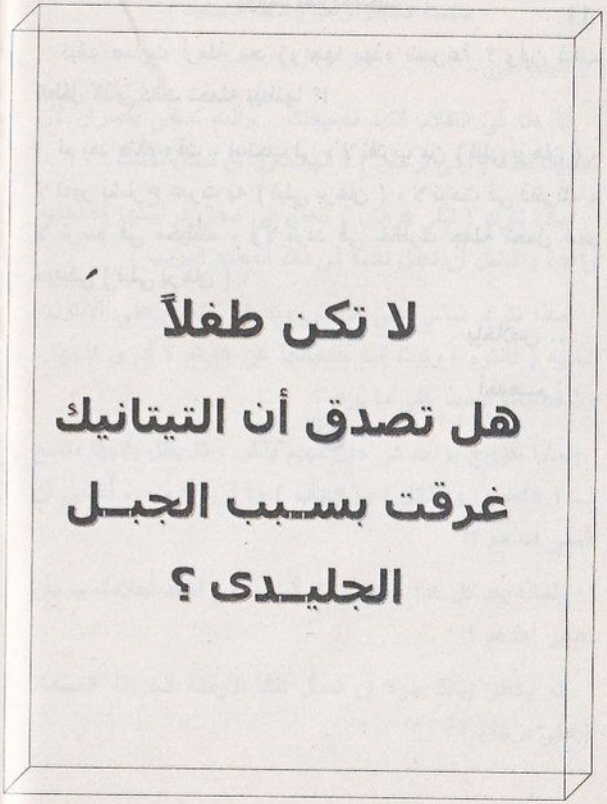

المقدمـة

(أيها القـادم ترفَّق ؛ سُلَّمة الحاضر نخـرة ، تُسقطك إلى المستقبل ، وليت المستقبل أفضل ! فتمهل) .

مرحبًا (فانتوم) .

تبدو مُدهشًا اليوم !

وليس ما يدهشنى الاسم المستعار الذى تختاره ، وليس ادعاءك أنك شبح ، وليس غيابك وحضورك الشبيه بالأشباح ، وإنما فقط يدهشنى صبرك فى مصادقتى ؛ ظننتك ستمل أسرع .

ولكننى أعرفك ، صرت أعرفك ...

يحلو لك أحيانًا أن تختلس نظرة إلى بروفايلى ، والنظرة تجلب نظرة ، والوقت يمضى .

يحلو لك أن تقترب لتعرفنى لكن المشكلة أنك كلما اقتربت أكثر كلما ازداد تيهك .

أنت تنظر إلى صورة الفتاة الطليقة التى تفرد ذراعيها للهواء أمام عدسة المصوِّر فلا يمكنك أن تتقبل فكرة أنها ذاتها الأرملة

www.dvd4arab.com

لا تكن طفلاً

هل تصدق أن التيتانيك غرقت بسبب الجبـل الجليـدى ؟

الشابة التى ترتدى الأسود وتهرب بعينها من نظرة المصوّر فى الصورة التالية .

تنظر إلى صورتى خلف المكتب فتقول « كاتبة » ، تنظر إلى صورتى فى المطعم فتقول « نادلة » ، ثم تنظر إلى صورتى إذ أكتب فى المطعم فلا يسعفك مُسمّى ما .

هى المرة الكم التى تطالع بها ذات الصور (فانتوم) ؟ فعلتها كثيرًا صح ؟ إذًا دعنى أختبرك :

هل رأيت الصورة التى التقطتها لنفسى بعدسة الموبايل فى غرفة مغلقة ؟ ومع ذلك وجدتُ آخر يشاركنى الصورة .

هل رأيت الصورة التى توسطتُ فيها صديقتى (عصمت) و(مشيرة) فى الجامعة نهارًا والجو مشمس ، وكلٌ يحصل على ظله الخاص إلا أنا ؟

هل رأيت صورة زفافى حيث أبتسم لأبدو سعيدة ، فيما أقبض على عنق زوجى (كامل) بكلتا يدى ؟

ثم أخبرنى ، هل أبدو شفافة بقدر ما فى الصور كلها ؟

يا إلهى .. هل أنا الشبح أم أنت ؟

آثرت حنينى إلى ذاتى يا (فانتوم) ، وجعلتنى أتفقد صورى بدلاً عنك .. مهلاً مهلاً ، هل ترى هذه المجموعة من الصور ؟

صورتى إذ أفغر فمى وأبسط يدى فى بلاهة ، صورتى إذ أمسك بيد (روزيت) بخشوع وأرفع نظرى إليها أستجديها ، صورتى إذ أمسك القلم وأنكب على الأوراق فى اهتمام حتى ليكاد القلم أن يخترق عينى .. يا لها من ذكريات !

حسنًا ، سأختبر ملاحظتك فى صورتى الأخيرة حيث كنتُ أكتب :

هل لاحظت أننى فى الحقيقة لا أكتب ؟ هل لاحظت أننى لا أحب المصوّر ؟ وأهم شىء : هل لاحظت أننى لا أرتدى قلادة ؟

لا عليك ، لا تشعر بالخجل ، كل الرجال ضعيفو الملاحظة ، وفى الغالب ، الذاكرة أيضًا .

أما أنا ، فلا أملك إلاّ الذاكرة وبضعة من الجنيهات والخيال ، وهذه الصور تحمل لى ذكريات حكايتى مع (التيتانيك) ، ذكريات تعسة حقًا وسأحكيها لك ساعة بساعة منذ اللحظة الأولى ، ولو كنتَ شبحًا ، حاول أن تتملص

Looloo
www.dvd4arab.com

1

الفتاة التى ... والفتى الذى لم

تتجول الآثام بجسدى ، البعض يعبث بقلبى ، والبعض برأسى ، خفقات ، دوار ، أتماسك بالكاد ، أرن الجرس ، تحتشد جميعًا وتلتصق بوجهى .. تفتح أمى الباب وتنظر بعينين قلقتين ... أخطو للداخل ، أتوقف ، أفكر بصوت مرتفع :

ــ أمى ، هل من الممكن أن يغضب قلبك على فى يوم ؟

توهج الغضب فى عينى أمى ، ثم تحول إلى محض حزن ، لم أحتمله ، تركتها واتجهت إلى غرفتى ، تبعنى صوتها :

ــ أأتممتِ الإجراءات دون علمى ؟

أعليتُ صوتى بنبرة أردت لها أن تكون جافة :

ــ أنهيتُ الإجراءات ، ماما ، وأسافر غدًا .

أخرجتُ الحقيبة ، فتحت الدولاب ، أتفحص بعينى ، أزيح الشماعات ، لا أجده ، أرمى بالملابس قطعة قطعة إلى الأرض ،

وبالأخير ، أجـده مختبئًا بالركن . أمـد يـدى فلا أناله ، أعيد التصويب ، فأخطئه ، يا لهذا المعطف الملعون هل يتوارى عنى ؟

أحمله رغمًا عنه وألقى به فى الحقيبة ، تتحرر ذراعه للخارج ، أزج بها للداخل وأضع فوقها ثقلاً من عطرى المفضل ، أضع أدوات التجميل ، أضيف بعضًا من الملابس المريحة .

تدخل أمى ، وتجلس بوهن :

ــ لا أصدّق أنك فعلت هذا بى يا (ليلى) .

ــ هذه فرصة عمرى يا أمى ، ومن الجنون أن أضيّعها .

ــ هذه الرحلة خطرة يا ابنتى ، أنا أعرف ما أقول ، أنتِ لا تعرفين شيئًا عن قلب الأم .

أتناول يدها وأقبلها :

ــ من أجل هذا أريد رضاءك يا أمى ، لأكون بخير .

ألتفت ، تفاجئنى الأدوات متناثرة خارج الحقيبة ، زجاجة العطر طائحة ، والذراع للخارج من جديد ... ألتفت بذعر :

ــ ماما ، هل أخرجتِ محتويات الحقيبة ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

سؤال بلا معنى ، ألم تكن أمى أمامى طوال الوقت ؟ هذه الأشياء لا يجدر التفكير بها ، أذهب إلى الحمام ، أعود بفرشاة الأسنان والمعجون ، أحمل باليد الأخرى الأوراق والأقلام ، أزج بكل الأشياء فى الحقيبة ، أُدخِل الذراع والأشياء المتناثرة ، وفى أقل من ثانية أحكم إغلاق الحقيبة .

نشيطة ، عملية ، ممتلئة بالأدرينالين ، بكامل لياقتى بالرغم من أنى لم أنم ، أحمل حقيبتى وأخطو تجاه الحافلة ، أرفع يدى وألوّح للرفاق على البعد ، لا يبادلنى التلويح أحد ، هل يروننى أصلاً ؟

تستقبلنى منسقة الرحلة بابتسامة طفيفة . امرأة أنيقة فى زى رسمى لا زالت تحتفظ بجمالها فى منتصف الأربعينيات .. تلتفت للجمع :

ــ يتبقى خمس دقائق للانطلاق ، فلنتخذ أماكننا .

أهم أن أصعد الحافلة فأصطدم بفتاة تهم بالأمر ذاته ، تمسك كتفها وتصرخ صرخة شديدة الحدة أقرب شىء لصوت الماعز ، أدارى دهشتى وأنتظر حتى يخفت صدى الصرخة فأقول :

ــ آسفة ، لم أقصد .

ــ آسفة ؟ وما أفيد من « آسفة » هذه ؟

هــذه المــرة لم أنجح فى إخفاء الدهشة ، وأغلب الظن أن فكى ســقط إلى الأرض ، أردت أن أقــول شيئًا لردعها ، أردت أن أقول ... شيئًا ما ، لكن يبــدو أنهــا لا تتحمس لتسمع ، رمقَتْ فمى المفتوح وصعدَت الحافلة فى بساطة ، وفى اللحظة التالية ســمعت « كليك » ما ، وأدركت أن أحدهم حصــل على صورة لطيفة لفتاة ممتقعة الوجه ، مفتوحة الفم ، وتبسط يديها فى عدم فهم .

منذ اللحظة الأولى أدركت أن الجو قاتم ، وأن هذه المجموعة ليست لطيفة المعشر ، ولكنى أعلم أيضًا أن الطريق للقمة ليس مفروشًا بالــ ... أيًا كان !

اتخذت مقعدًا جوار الشبّاك ، وبينما أتطلع أمامى لمحتُ هيئةً أعرفها : أليست هذه (رجاء) ؟ إنها زميلتى بالدراسة ومنافسة عتيدة فى مسابقات الكلية ، ها هى تستدير ، أرفع يدى ملوّحة :

ــ مرحبًا (رجــ ....!) ،

Looloo
www.dvd4arab.com

تدير وجهها كأن لم ترنى . يا إلهى ! لماذا يصر الجميع فجأة على الجفاء ؟ أنظر إلى الشبّاك وأقرر ألاّ أحول نظرى عنه أبدًا ، أشعر بأحدهم يجلس جوارى ، يتملكنى الفضول لأعرف من ، فأحول وجهى هـذه المرة فقـط : إنه ذات الفتى الذى التقط الصورة ، بادرنى :

ــ يبدو أنكِ لا تحبين التصوير .

ــ فعـلاً .

ــ إذا ، سيكون عليكِ أن تحبيه .

هكذا إذًا ؟ تحدثت بهدوء :

ــ أنت تجاوزت فى البدء حين سمحت لنفسك بتصويرى دون سابق معرفة ، ثم تجاوزت حين جلست جوارى دون إذن ، ثم أنت تتجاوز مجددًا بإملائى ما أحب وما لا أحب .

ــ أنا لم أتجاوز .

واستدار بجذعه ، ومد يده مصافحًا :

- أنا (إلهامى) ، المصور المعتمد للمسابقة .

التقطت أطراف يده ومططت فمى فى شبه ابتسامة :

ــ (ليلى) .

ثم عدت أنظر للشباك ، يا لها من خمس دقائق طويلة حقًا .. أتوق أن أعرف متى سنتحرك ؟ وحين قالت المنسقة : « لنتحرك ! » صحتُ بجزع :

ــ لا ، لا ، انتظروا ..

ثم أشرت إلى الشباك . كم كان رائعًا الشباك لأنى لمحت منه فتى يحث الخطا نحو الحافلة ، كان نحيلاً ونبيلاً وناضجًا عن هؤلاء المراهقين ، رأيت « نحيلاً » وشعرت بالبقية . شعرت أنه لا ينتمى إلى هذه المجموعة من الأوغاد ، ما الذى أتى به هنا ؟ لا ، لا ، ليس هذا ما أردت قوله ، أردت أن أقول : سعيدة أنه هنـا .

بمجرد صعوده ، حيّته المنسقة بابتسامتها الطفيفة ، ثم التفتت لنا :

ــ حسنًا ، مهما يكن من أمر من بالخارج ، لكنهم تخلفوا عن الموعد . ولذلك سننطلق .

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى الفور بدأنا فى التحرك . فمنحتنا ابتسامة كاملة هذه المرة مع عبارة :

ــ أتمنى لكم رحلة طيبة .

ثم اتخذت مقعدها خلف السائق . للحظة عمّ الهدوء قبل أن يخرقه صوت الماعز :

ــ أهكذا فقط ؟ « أتمنى لكم رحلة طيبة » وكفى ؟ ألا تخبرينا أولاً إلى أين هذه الرحلة ؟

التفتت المنسقة ونظرت إلى مصدر الصوت ثم قالت بهدوء :

ــ ألا تعرفين يا آنسة (سناء) أننا ذاهبون لـــ (الإسكندرية) ؟

ــ أعرف ، ولكن ، ماذا بعد (الإسكندرية) ؟

ــ تعرفين أيضًا أننا سنستقل باخرة من ميناء (الإسكندرية) .

ــ أنت تعرفين جيدًا ما أقصده ، أريد أن أعرف أين سنذهب بالباخرة ، أقل حق لنا جميعًا أن نعرف وجهتنا ، وأنتِ تفهمينني جيدًا فلا تلتفى على !

مدت المنسقة يدها إلى كتف السائق :

ــ توقف إلى جانب من فضلك .

ثم قامت تقف بمواجهتنا ، ونقّلت نظرها بيننا جميعًا وكأن لم تقصد (سناء) بذاتها :

ــ منذ اللحظة الأولى التى تم اختياركم فيها لهذه المسابقة تم إخباركم أن ثمة مستوى محدد من المعلومات التى يمكن الإدلاء بها . تعرفون أننا سنوفر لكم أجواء معينة ونطالبكم بكتابة قصة من وحيها وبشروطنا الخاصة ، كما نعرف أنكم لا تفعلون هذا لأجل عيوننا وإنما لأجل الجائزة التى سيحصل عليها صاحب أفضل قصة . تعرفون أن ثمة عقدًا فى أيديكم يفيد باستحقاق الفائز منكم مليونًا من الجنيهات ، كما نعرف أن نسخة أخرى من ذات العقد بأيدينا تفيد بأنكم قرأتم الشروط وتوافقون عليها ، تفيد بإقراركم تحمل أية مسئولية عن أية خطر أو أذى ينتج عن قراركم بالمشاركة ، وأخيرًا تفيد باستحقاقنا مبلغ ربع مليون جنيه كشرط جزائى فى حال فسخكم العقد .

تتنفس بصوت مرتفع :

ــ وبالرغم من هذا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

تبسط ذراعها تجاه الباب :

ــ سأمنحكم فرصة ذهبية الآن لاسترداد إقراركم دون أية شروط جزائية .

ثم جلست مكانها فى هدوء .. سمعتُ صوت ريقى إذ أبتلعه . كان هذا الأداء الاحترافى أقوى من توقعاتى ، هذه السيدة تعرف ما تفعل ، وأحد لن يجرؤ أن يناقشها ثانية . نظرتُ إلى (سناء) ، كانت تنظر إلى الشباك وتستند إليه بذراعها فيما تنقر نقرات متتابعة بأطراف أظافرها ، ويبدو أنها صدّقت أنها غير المقصودة بالكلام ، كما لا يبدو أنها تفكر فى النزول . هى فى وضع سيئ لا شك لكن المثير فى الأمر أننا جميعًا فى نفس المربع . بسطتُ العقد وأعدت تفحصه ببطء . أفكر بينما أقرأ : حتى (موسى) لم يستطع أن يكتم فضوله وقتما وقع تصرف غريب من العبد الصالح ، فى كل مرة ، فما بالنا نحن !

ورقة أو اثنتان أسمع خشخشتها ، الفتى النبيل ينظر إلى الشباك من الجهة الأخرى ، (رجاء) تطالع كتابًا ، فتاة خليعة أمالت رأسها إلى كتف جارها ، حمامة سلام تعقّد الأمور أكثر :

ــ (سناء) لا تقصد يا طانط ، سامحيها !

تلتفت لها المنسّقة بحدّة ، وقبل وقوع صدام آخر تعلو الصيحات للسائق : أن انطلق ، حفظك الله .

المقاعد كلها ممتلئة بما يعنى أن المنافسة لن تكون سهلة . صمت ثقيل منذ لحظة التحرك أردت أن أقطعه فطلبت من السائق أن يُعمل أسطوانة (DVD) أو شيئًا ما ، لم أطلب شيئًا محددًا لكنى بالتأكيد لم أكن لأرغب بهذا الفيلم بالذات ، بالرغم من عشقى له . منذ اللحظة الأولى لظهور (جاك) يأسرنى وكأنها المرة الأولى التى أشاهده فيها ، ندت عنى العبارة دون وعى :

ــ فتى رائع !

سألنى جارى :

ــ من ؟

ــ (جاك)

تصنع الاهتمام :

ــ همم .. حقًّا ؟

ــ نعم ، إنه صغير السن ، وبريء الملامح ، ومقامر ، وفنان ، ويملك حبًّا عظيمًا جدًّا ، أليس من المدهش اجتماع كل هذه الصفات فى رجل واحد ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وهل أعجبتك شجرة الفاصوليا أيضًا ؟

ــ ماذا ؟

فأعلى صوته للسائق متسائلاً :

ــ يا ريّس ألم تجد سوى (جاك وشجرة الفاصوليا) لتُشغله لنا ! ابتعد عن أفلام الأطفال واختر ما شئت .

علت صيحات التأييد :

ــ لا أفلام كرتون ، من فضلك .

ــ شغل لنا فيلم رعب ما ....

ــ شغل لنا (تيتانيك) .

جحظت عيناى ذهولاً ، حككت عينى جيدًا إذ أنظر إلى الشاشة بتمعن :

« هذا (جاك) يقول لزميله بينما يكشف أوراق اللعب :

ــ أنا آسف ، (فريتسيو) .

ــ وما (آسف) ؟ ما الذى تقوله ؟ لقد راهنت بكل مالنا !

ــ أنا آسف لأنك لن ترى أمك لمدة طويلة ! لأننا سنسافر إلى (أمريكا) !

ثم يكشف أوراقه الرابحة ، وتعلو صيحات احتفالهم » .

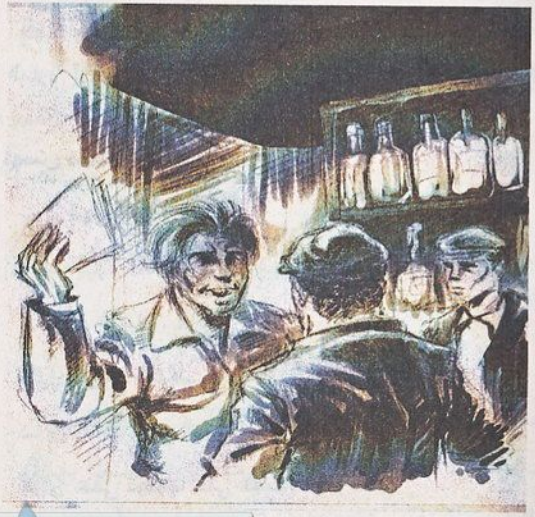

Looloo
www.dvd4arab.com

2

الرجل الذى ... والصديق الذى لم

أقف أمام السفينة العملاقة فأرقب الاسم الذى نقش عليها : (المارد) ، ويخفق قلبى بعنف ، من أراد لها ذات معنى لفظة « تيتانيك » ؟ تقف إلى جوارى فتاة فتضم قبضتيها إلى صدرها وتهمس كالمنوّمة :

ــ يا إلهى !

ألتفت إليها التفاتة عابرة ، إنها ذات حمامة السلام ، أقول :

ــ اسمًا غريبًا .. هاه !

تقول كأن لم تسمعنى :

ــ إن اسمها على اسمى : (أحلام) .

ألوى عنقى تجاهها حتى أقصاه .

~

على جسر الصعود للسفينة ، تتقدمنا المنسقة كما البطة الأم ، ونحن سرب الفراخ الغر من خلفها . تتقدم تلك الـ (سناء) بسرعة جنونية من خلفى محتكة بى ومتخطيانى إلى الأمام ، يختل توازنى ، أتأرجح ، الجو بارد ولا أريد حقًا السقوط فى الماء الآن ، أنتظر يدًا تسندنى قبل أن تبتل ملابسى وأصبح أضحوكة ، تعتصر يد أحدهم ذراعى ، ألتفت فإذا به (إلهامى) ، أهم أن أشكره فيبادرنى :

ــ لا تكونى جبانة وتقدمى .

ثم يتابع الصعود . كما البطة السوداء أبقى وحدى فى المؤخرة .

~

أحاول ألا أرتجف انبهارًا كلما خطوت داخل السفينة . هم ــ مثلى ــ للمرة الأولى فى حياتهم يرون شيئًا بهذه الضخامة ، ولكنهم ــ كالمولودين على سفينة ــ لا يبدون أى

Looloo
www.dvd4arab.com

انفعال . تقودنا المنسقة إلى ممر مـــع العديد من الأبواب على الجانبين :

ــ هذه غرفكم ، احصلوا على قسط من الراحة ، على أن نلتقى بعد ساعة فى غرفة الاجتماعات .

وتلقى إلينا بالمفاتيح . أتفحص المكتب ، جهاز الكمبيوتر المتصل بالإنترنت ، المسجّل مع الشرائط الفارغة ، والمجموعة الضخمة من الأوراق والأقلام . هذه الغرف مجهزة جيدًا لكتّاب ، فإذا أضفنا لهذا وجود غرفة اجتماعات على ظهر السفينة ، فهل يعنى هذا أنهم يخصصون السفينة لنا ؟

أفرغ الحقيبة وأستلقى على الفراش ، أُعمِل الريموت فينفتح التليفزيون عن (جاك) :

« (جاك) ممدد على أريكة ينفث دخانه فيما يسمع خطوات (روز) تقترب ، يعتدل جالسًا . تركض (روز) إلى الحافة ثم تصعد السور ببطء لتقف على الجانب الآخر ، يقترب (جاك) من خلفها :

ــ لا تفعلى هذا .

ــ ابقَ مكانك ، لا تقترب أكثر .

ــ هيا ، أعطنى يدك لأسحبك .

ــ لا ، ابقَ حيث أنت ، إننى أعنيها ، سأقفز .

يلقى (جاك) بالسيجارة من جوارها بحذر ، ويضع يديه فى جيبيه :

ــ لا ، لن تفعلى .

ــ ما قصدك من ذلك ؟ لا تظن أنك تعرف ما قد أفعله ؛ أنت لا تعرفنى .

ــ حسنًا ، كنتِ قمتِ بهذا بالفعل .

ــ أنت تشتتنى ، ابتعد .

ــ لا أستطيع ؛ أنا تورطت الآن .

يبدأ يتخفف من ملابسه :

ــ إن تقفزى ، سأضطر للقفز خلفك » .

Looloo
www.dvd4arab.com

ذلك المشهد الذى لا يكف عن إثارة إعجابى ، أغير المحطة ، أنا لا أريد أن أشاهد (تيتانيك) ، أحوّل المحطة من جديد ، ليس وأنا على ظهر سفينة ، أحوّلها ثانية ، وليس وأنا بلا حبيب ، أحولها مرة بعد مرة ، أقذف بالريموت فى جزع ... لماذا تذيع كل القنوات جميعًا (تيتانيك) ؟!

طرقات إلى الباب ، لا أجيب ، ينفتح عن فتاة تبتسم فى تودد :

ــ مرحبًا ، أنا (مايا) زميلتك فى المسابقة .

نعم ، أتذكرها ، تلك الفتاة الخليعة التى كانت تسند رأسها إلى كتف جارها طوال الطريق ، ولكنى لست رائقة البال لها ، تتابع :

ــ أريد أن أطلب منك طلبًا ، أنا .. أريد إبدال غرفتى معك ، لأن ــ نحن بنات مثل بعض ولابد أنك تفهمينى ــ غرفتك مجاورة لغرفة (سمير) .

أقم مباشرة فى حركة فاجأتها ، أجذبها من يدها :

ــ سألبى طلبك إن أجبتِ سؤالى .

ــ أى ســؤال ؟

أوقفها مباشرة أمام التليفزيون :

ــ هل ترين هذا المشهد ؟ أعنى : ذلك البحر ، السفينة ، (جاك) على الحافة .

تجيبنى بعجب :

ــ نعم ، أراه .

ــ حمدًا لله ، حمدًا لله .

ثم أنتبه لشىء ، فأؤكد عليها :

ــ لكن أنت لا تقصدين (جاك) الطفل فى (جاك وشجرة الفاصوليا) ، هاه ؟

ــ بالتأكيد لا .

ــ عظيم ، عظيم .

ــ بل هو (جاك سبارو) .

ــ من ؟

ــ (جاك سبارو) : القرصان فى (قراصنة الكاريبى) .

Looloo
www.dvd4arab.com

أتهاوى إلى الفراش .

~

تناولنى (مايا) ملابسى فيما أصفّها بالدولاب . تتوقف قليلاً قبل أن تعطينى فستانى الأسود :

ــ جميل هذا الفستان يا (ليلى) .

أختطفه من يدها :

ــ أعرف .

أتوق إلى لحظة الانفراد بذاتى ، أنتهى من هذا فأغلق الباب خلفها وأنظر إلى المرآة فى غرفتى الجديدة نظرة طويلة أرعبتنى : ماذا أريد منى ؟

أشيح بوجهى . يتملكنى غضب جنونى ، أن أشعر أنى بخطر ولا أستطيع المساعدة . هذه الرحلة مشئومة ولن أعود منها بمليون جنيه ، وما يحزننى لا يخص الــ (مليون جنيه) ولكن يخص أننى (لن أعود) .

أصعد إلى سطح السفينة علّى ألتقط إشارة ، وما أن أحصل عليها حتى أتصل بأمى .... أضع الهاتف على أذنى وأستمع جيدًا إلى النغمات ... لحظات قبل أن تجيب أمى :

ــ (ليلى) ، حبيبتى ، طمئنينى عنك !

ــ أمى ... متى حوّلتِ الــ « كول تون » الخاص بكِ إلى أغنية (التيتانيك) ؟

~

فى كل خطوة على هذه السفينة ، أجد موضعًا للتوتر . أتخذ مقعدى حول طاولة الاجتماعات ، أنقر بسبابتى نقرات منفردة ، أنقر بيمناى نقرات متتابعة ، أنقر بعشر أصابعى دفعة واحدة . تميل من تدعى (سناء) تجاهى مبدية ملاحظة :

ــ ضجيج ! ضجيج ! ألا يمكننا أن نحصل على لحظة هدوء واحدة ؟

أبسط يدى فى ضربة أخيرة للطاولة ، أهبّ تجاهها محاولة الإمساك بتلابيبها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ما بالك أيتها المدللة ؟ ألا تتحدثين باحترام لمرة واحدة فى حياتك ؟

تضرب المنسقة الطاولة هاتفة :

ـ هدوء !

لا أعيرها انتباهًا وأبسط ذراعى حتى أحصل على شعر المدللة ، يهب الرفاق حائلين بيننا ، فألتفت إليهم واحدًا واحدًا :

ـ لا شأن لك يا كابتن .

ـ ابقَ فى حالك يا أخ .

ـ لا تزج بنفسك يا ....

أقطع عبارتى إذ أنظر فى عينى محدثى ، تلك العينين الحالمتين لذاك الفتى .. النبيل . تسقط عيناى إلى الأرض ، أجلس فى وداعة كأية فتاة مهذبة . تجمع المدللة شتات نفسها ، تقول المنسقة :

ـ ما حدث الآن لا يجب أن يتكرر أبدًا ، نحن سنبقى معًا فى البحر مدة لا يعلم مداها إلا الله ، فمن غير الممكن أن تكون المعاملة فيما بيننا بهذا الشكل .

تلعثمت الكلمة فى فمى قبل أن أنطقها :

ـ مـ ... مـ ... ما معنى عبارة « لا يعلم مداها إلا الله » ؟ ألن ننتقل إلى مدينة ما لنبدأ المسابقة ؟

ـ هذا ما جمعتكم من أجله . كنتم تظنون أنكم هنا للوصول إلى مكان ما تبدءون فيه المسابقة . لكن ما أردت أن أقوله أن المسابقة بدأت بالفعل لحظة صعودكم إلى هذه السفينة ، وأنه لا محطة وصول لنا ؛ لأن السفينة هى الرحلة .

~

هممم .. « لأن السفينة هى الرحلة .... ؟ » فهمت .

عرفت أن المطلوب هو كتابة قصة رعب من وحى البحر ، وأن الموعد النهائى لتسليم الأعمال غير محدد ؛ قد تنتهى المسابقة بعد أسبوع ، أو بعد شهر ، كما قد تنتهى غدًا ويكون المحظوظ الذى سلّم قصته هو الفائز .

Looloo
www.dvd4arab.com

بينما يقضى الرفاق أوقاتهم فى المسرح والسينما وحوض السباحة والجيم ، سأغتنم كل لحظة . أصعد إلى سطح السفينة أحمل قلمى وأوراقى ، أحتاج مقعدًا هادئًا على البحر . أرى كثيرًا من الركاب متناثرين يحصلون على الشاى ، لكن ما استوقفنى حقًا : رجل خمسينى يجلس وحيدًا يطالع جريدة ، وحين يُنزل النادل أمامه قدحين من الشاى ، يدفع بأحدهما إلى كرسى فارغ أمامه ، ويسأل :

ــ كيف تحب السكر ؟

ثم يضيف ثلاث ملاعق من السكر ويبدأ فى إذابتهم . كنت متجمدة فى مكانى أرمق المشهد ، ولكن أيضًا تجمد الدم فى عروقى حين رفع رأسه إلى قائلاً :

ــ تفضلى !

ارتبكت :

ــ أنا ؟

ــ نعم

ــ هل كنت تعد الشاى لى ؟

أحنى رأسه مبتسمًا فى بساطة ، ثم أعاد رفع رأسه إلى :

ــ الحقيقة لا . كنت أعده لشخص وهمى يشاركنى وحدتى ...

شعرت بود فى صوته ، أو ملامحه ، وجدت أنى أجلس إذ أقول :

ــ إذًا لن يغضب إن حصلتُ على فنجانه .

ــ أراك تحملين قلمًا وأوراقًا ، هل تشاركين فى المسابقة ؟

ــ أجل ، وهل تعرف عنها ؟

ــ سمعت . الحقيقة أنى لا يعنينى أن يزدهر أدب الرعب بالعالم العربى أو أن تُقام له المسابقات ، لكنى سعدت فعلاً أن حصلت على تذكرتى المجانية على هذه السفينة .

ــ وكيف حصلت عليها ؟

ــ مررت بمقابلة مع منظمى المسابقة ، سألونى عن وجهتى وسبب السفر وطبيعة الرحلة وأشياء كهذه . وأكثر ما أثار اهتمامهم أنى أردت تذكرتين ، واحدة لى والأخرى لصديقى

Looloo
www.dvd4arab.com

الوهمى ، وهنا قدّروا بشكل ما أنى سأمثل إلهامًا للمتسابقين ، وأنى أستحق تذكرة مجانية .

ــ عظيم ، تهانى على التذكرة المجانية .

ــ شكرًا لك . فقط تمنيت لو منحوا صديقى تذكرة أيضًا .

اتسعت عينى :

ــ ماذا ؟ لا تقل أنك بالنهاية قطعت تذكرة !

أومأ برأسه موافقًا وضحكنا معًا . جلتُ بعينى فى الوجوه حولنا ، هذا يعنى أن لكل منهم قصة أيضًا .. يتلاعب أمامى سؤال خبيث :

ــ إذًا ، ما هى وجهتك ؟

ــ أوروبا

يتملكنى الحماس :

ــ أ .. أين فى أوروبا ؟

ــ (باريس) ، صديقى يحب زيارة (باريس) ، ولكنهم أخبرونى أنهم لن يوصلونى حتى تنتهى المسابقة .

تخرسنى خيبة الأمل ، فيما يقول الرجل :

ــ وأنتِ هل حصلتِ على قصتك ؟

ــ ليس ببالى شىء بعد . يريدون قصة من وحى البحر ، قصة رعب من وحى البحر ، فهل تفهم معنى هذا ؟

ــ شىء مثل (Jaws) ربما .. سمكة قرش هائلة تهاجم الحسناوات .

أشحت برأسى :

ــ هذا ممل !

ــ ليس بالضرورة أن تكون سمكة قرش ، يمكننا التنويع كما شئنا .. ما رأيك بحوت ضخم ؟

ــ تمساح شرس .

ــ أناكوندا ..

ــ قلتُ لكَ : إنها بحرية وليست نهرية .

ــ أنا مررت لكِ التماسيح وهى نهرية أيضًا .

ــ معكَ حق ، إذًا لنقل : أخطبوط رهيب .

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ دولفين عملاق .

أضحك ضحكة المنتصر :

ــ الدلافين ليست عملاقة ، كما أنها صديقة الصيادين ، ولا تهاجم البشر .

بعضها كبير حقًا ، ثم ما أدراكِ أنتِ ، إنه معدّل وراثيًا !

أفقد حماسى ، أرجع برأسى للوراء :

ــ هذه أشياء بلا جدوى .

يتابع ضخ الحماس :

ــ ما رأيك بأسماك البيرانا ؟ صغيرة لكنها متوحشة يمكنها أن تحيلك إلى هيكل فى ثوانٍ .

ــ ما رأيك بأسماك الزينة ؟ عملية تنظيف الحوض تعد رعبًا مضاعفًا للأسماك ومقتنيها معًا .

ــ لا تمزحى وتفقدينى تتابع أفكارى .

ــ أنا لا أمزح ، أؤكد لك أنه ستخرج دستة من القصص ــ على الأقل ــ بهذا الشكل ، ولا يمكننى المغامرة بالانسياق للقطيع .

يرفع سبابته للنادل ، وينظر إلى قائلاً :

ــ أخشى أن أحبطك ، لكن المغامرة الحقيقية .. حين تبقين وحدك .

ثم يرفع رأسه للنادل :

ــ امنحنا ثلاثة أقداح من القهوة ، من فضلك .

Looloo
www.dvd4arab.com

3

العجوز التى ... والكاهنة التى لم

أتبع زقزقات العصافير فأصل إلى المطعم ، لم أخبرك أنها عصافير بطنى ، أنظر فى ساعتى وأتمنى أنها ساعة غداء .

أطل من الباب فأجد الرفاق جالسين ويلعقون شواربهم فى استمتاع ، يبدو أننى تأخرت قليلاً . أبحث عن الفتى النبيل ، وأتخذ مقعدى خلف ظهره ، ظهرًا لظهر ولكنى أرجو أن أحصل على تركيزك لحظة .

ألتقط نفسًا عميقًا وأغمض عينى وأتحدث فى خاطرى .. يا أنت ، أرجوك ، التقط رسالتى ولا تغلق خاطرك عنى ، أعرف أنك التقيتنى منذ ساعات فقط لكن صدّقنى لا تحتاج لأكثر منهم لتعرف أنك وجدت حب حياتك . يا هذا ، أنت كاتب رعب ويجب أن تكون جرىء القلب ، تعالَ عرّفنى بنفسك ثم اطلبنى للرقص ، هيّا . أفتح عينى ، أشعر أعصابى تحترق ، أغمضهما من جديد : هيّا ، تخلى عن تحفظك ، تحلى بالشجاعة ، لن أخذلك ، هيّا ، هيّا ..

نقرات على كتفى : أفتح عينى بلهفة ، أرتفع ببصرى لأعلى ، يبتسم النادل فى وداعة :

ــ ماذا تطلبين ؟

أهب واقفة ، أخبط المائدة بقبضتى :

ــ شكرًا ، لست جائعة .

أغــادر بينما ينظــر لى الرفاق نظرة : ها قد عادت غريبة الأطوار !

~

أتخذ مقعدى فى الكافيتيريا ، أحنى رأسى جدًا على الورقة ، من يرانى ليقول : منتبهة ، دعهم فى ظنونهم . بين الحين والحين أرفع رأسى فألقى نظرة على التليفزيون : (جاك) المسكين وحبه المعذّب ، لكن من قال : إنه ليس (جاك دوريدو) فى (كينج كونج) أو (جــاك شيبارد) فى (لوســت) أو شىء ما ... لنركز على الكتابة أفضل .

أنقــر بالقلم نقــرات رأســية على الأوراق ، يلفت انتباهى النــداء :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ (ليلى) ، لماذا لم تأكلى شيئًا ؟

أرفع رأسى للحظة ، أعود لانكبابى على الأوراق ، إنها الفتاة الخليعة :

ـ أكتب أفضل بمعدة خاوية .

ـ دعى الكتابة اليوم واستمتعى معنا بالسفينة ، هناك مزاد لمقتنيات (التيتانيك) ، لِمَ لا تحضرين معنا ؟

ـ لا شكرًا ، لا أريد المزيد من (التيتانيك) ..

تبسط يديها فى استسلام وتغادر ، دائمًا ما يملوننى بعد قليل لأجد نفسى وحدى . أرمق الصفحة البيضاء ذات النقاط السوداء فى اهتمام ، أطلق زفيرًا ، ثم أطوى الأوراق وأتبعها إلى القاعة .

فى المنتصف تقف سيدة عجوز تمسك بقلادة بدت لى مألوفة بشدة ، وجوارها يقف رجل المزادات صائحًا :

ـ (قلب المحيط) .. من يريد أن يمتلك (قلب المحيط) ؟

فى حين يسرق توهج القلادة بصر الجميع ، تسرق عينى لمعةً أكبر ، أتوغل فى النظر فى عينى العجوز كما لو أبحر بقلب المحيط ، وأشعر أننى بعد قليل قد أصل لشاطئ ما ، تصدمنى نظرتها المفاجئة إلى عينى ، تنكسر نظرتى وتتلاحق أجفانى ، أحوّل بصرى إلى الرجل الذى يعلن انتهاء المزاد لصالح (سناء) .

يمكننى الآن أن أحوّل لقب (سناء) بضمير مستريح من « المدللة » إلى « ابنة الأثرياء المدللة » . تميل العجوز على (سناء) قائلة شطر جملة :

ـ لولا الحاجة !

ثم تتصلب عضلات وجهها فى غل . أتركهم خلف ظهرى وأتسلل خارجة . أفكّر أن أتسكع على سطح السفينة بحثًا عن إلهام ما ، أنحرف نحو الكافيتيريا ثم أتسمر مكانى : ألم أترك تلك العجوز خلفى ؟

أطرد الفكرة من رأسى : من قال أنها لا تملك ساقين مثلى ! أضمم أوراقى وأخطو فى ارتباك نحوها .. ترى ، ما نوع

Looloo
www.dvd4arab.com

الإلهام الذى تحمله هذه المرأة ؟ أدير قدمىَّ وأدور حولها : من هى ؟ من أين جاءت ؟ أتمم الدائرة فأبدأها من جديد ، وكيف حصلت على (قلب المحيط) ؟ علا صوتها :

ــ أيتها الشابة الصغيرة ، هل تريدين الجلوس ؟

جذبت مقعدًا على الفور :

ــ أ ... الحقيقة أننى ... كيف حصلتِ على (قلب المحيط) ؟

ــ ورثته عن أمى .

ــ هل ... هل هو حقيقى ؟ أعنى ... (قلب المحيط) الذى امتلكته (روز) ؟

ــ بالتأكيد . ها أنت تعرفين أمى .

اتخذتُ فاصلاً من الصمت ، ثم استطعت أن أقول بعدها :

ــ هل تدّعين أن (روز) والدتك ؟

ــ أجل ، وأنا (روزيت) ، وأنتِ ؟

لا أسمع سؤالها :

ــ وهل هى حقيقية ؟

ــ أخبرتك أنها حقيقة وأصلية تمامًا .

ــ لا أقصد القلادة ، بل ... بل (روز) .

ــ أمى ، نعم بالتأكيد .

ــ كالتى شاهدناها على الشاشة ؟

ــ لو تقصدين أن (روز) هى الممثلة التى أدت دورها فبالتأكيد لا ، ولكنهم اقتبسوا بعضًا من حياتها ومزجوا الكثير من الخيال ، هل تعرفين لماذا ؟

ــ لماذا ؟

ــ لأنهم ما كانوا يجرءون أبدًا على قول الحقيقة .

أذهب بنظرى إلى شاشة التليفزيون والتى تذيع (التيتانيك) ككل مرة ، ولكننى هذه المرة أراه بنظرة أعمق : نظرة مشاهدة الواقع لا الخيال ، هذا يكسب الأمور المزيد من (..... ...) بحسب الموقف . هنا يكسبها المزيد من الإبهار :

Looloo
www.dvd4arab.com

(روز) تنظر إلى مرآة يدها ، ثم تضعها لتنظر عبر مرآة أكبر ، يظهر (كال) إلى طرف المرآة :

ـ كنت أعتزم الاحتفاظ بهذه ليوم خطبتنا الأسبوع المقبل .

يفتح العلبة بين يديه عن قلادة ذات ماسة زرقاء متلألئة تنال إعجاب (روز) تمامًا :

ـ إنها مذهلة .

ـ قد تذكّرك بمشاعرى تجاهك .

ـ هل هى ... ؟

ـ ماس ، نعم .

يلتفت ليضعها حول عنقها :

ـ ستة وخمسون قيراطًا بالضبط ، كانت كبيرة قبل صقلها ، وأطلقوا عليها اسمًا ..

تتلمس (روز) القلادة على عنقها ..

تتلمس العجوز قلادة وهمية على عنقها ، وتهمس مع أبطال الفيلم :

ـ (قلب المحيط) .

ألتفت إليها فجأة :

ـ عفوًا ، هل تشاهدين الفيلم مثلى ؟

ـ أجل .

ـ لا ، أنت لا تفهمينني ، أنا لا أقصد الذى يذاع الآن ، وإنما أقصد (التيتانيك) .

ـ (التيتانيك) هو الذى يذاع الآن .

ابتلعت ريقى : كم غريب أن يصير الأمر الطبيعى هو الغريب ، أن أشاهد نفس الفيلم الذى يشاهده الآخرون على نفس التليفزيون . أليس بديهيًا ؟ أليس بديهيًا أيها الفتى النبيل الذى يلفت نظرى ؟

تتبع العجوز نظراتى .. ثم تبادرنى بابتسامة خبيثة :

ـ ها ها ! انظروا إلى الفتاة الشابة التى لا تدير نظرها عن فتى حلو ، هل يعجبك ؟ فقط خذى النصيحة من سيدة عجوز خبرت الدنيا : لا تثقى أبدًا بمعرفة القطارات أو ... البواخر .

دفعتنى الحاجة للبوح إلى الاستفاضة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا أعرف لماذا انجذبت له ، إنه لم يبادلنى كلمة منذ بداية الرحلة ، إنه حتى لا ينتبه لوجودى .

ـ من يدرى .. لربما يحمل لكِ ثقل جسده حبًا ، لكنه من النوع الذى لا يبوح . نوعًا ما يذكّرنى بـ (جورج) ، كان أيضًا ذلك الطراز الواثق غير المبالى ، ولكن هذا قبل أن يقع بحبى ... هو أمريكى وأنا بريطانية وأعيش بـ (مصر) ، والتقينا على متن باخرة كهذه ، وانتهى بنا الحال متزوجين فى (مصر) . كانت لنا حياة سعيدة وأقسمنا ألن يفرقنا حتى الموت ؛ ولذلك حينما توفى حملته فى تابوت وها أنا أسعى لنقله إلى (أمريكا) ليدفن فى مسقط رأسه كما أوصى ، ولكى نظل معًا سأسعى أن نحصل على مدفن رائع يسعنا سويًا ، وأقضى ما بقى لى من الأوقات برفقته . أعرفتِ لمَ اضطررتُ لبيع (قلب المحيط) ؟

ـ أنتِ زوجة وفيّة حقًا ، سيدتى .

ـ وأنتِ ستكونين زوجة رائعة ، ولكن يجب لفت نظر الزوج أولاً ، أليس كذلك ؟

تفتح العجوز حقيبة يدها ، تُخرج بضع أدوات زينة ، أحاول الالتفاف لمتابعتها إذ تقوم ببطء لتقف خلف ظهرى وتقول :

ـ فى بعض الأحيان ، يكون حجب الزينة عن موضع ما ، من صالح موضع آخر .

تمرر أصابعها بين خصلات شعرى :

ـ ألم ترى مثلاً سيدة متأنقة فى ثوب غالٍ مكشوف الصدر ، ولا تتكلف وضع عقـد أو قلادة على صدرها ، تظنين لماذا ؟

ـ لِمَ ؟

ـ لأنها لا تريد لزينة القلادة أن تخطف الأنظار عن جمال جيْدها .

تتـابع :

ـ وفى المرة التى قررَت فيها أمى ارتداء القلادة ، كان عليها أن تخلع ما سواها ...

تلملم أطراف شعرى وترفعه إلى أعلى :

ـ بعضًا من الكشف ، وبعضًا من المنع .

تتناول من أمامى دبوس شعر أخضر اللون على هيئة فراشة ، أتساءل :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل ... هل هذا الدبوس الخاص بـ (روز) ؟

تضع الدبوس برأسى مُحكمًا على شعرى لأعلى ، تتناول المرآة من فوق المائدة وتضعها أمام وجهى :

ـ وهذه أيضًا مرآتها .

أنظر إلى صفو وجهى بالمرآة لا تشوبه خصلة شعر ، تتخذ مقعدها مبتسمة :

ـ أنتِ الآن تفهمينني .

أومئ لها ، أنظر نظرة أخيرة إلى المرآة قبل أن أضعها وأهم بأن أزيح الدبوس شاكرةً لها ، لكنها تمنعنى بإشارة من يدها :

ـ بل اتركيه حتى يؤدى عمله ، اعتبريه والمرآة هديتى إلى العاشقة الصغيرة .

وتغمز لى بعينها . أتمنى فى نفسى لو أن الأمور بهذه البساطة ، أطلق زفيرًا بينما أرسل نظرى إلى المياه السوداء من حولنا :

ـ النهار قد فرّ ، ومن بعده الليل ، ولم أحصل على قصة .

ـ غريب ! ألم تحصلى على قصتك بعد ؟ ظننتك فعلتِ .

ـ ومن أين ؟

تشير بإصبعها إلى الشاشة دون أن تنطق . أنتقل بنظرى إلى حيث أشارت وقد ساورنى خاطر :

ـ هل تعتقدين أن بث (التيتانيك) بينما نحن على متن سفينة يعد نوعًا من الفأل السيئ ؟

تبسط يديها بلا مبالاة :

ـ وماذا قد يحدث ؟

ـ قد نحصل على نفس مصير (التيتانيك) ، تعرفين : جبل جليدى وكسور بالسفينة و ....

قاطعتنى بينما تحاول الاعتدال واقفة ، وقالت بلكنتها الركيكة ولغتها التى تشبه ترجمة الأفلام الأجنبية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هيا ، لا تكونى طفلة ، هل تصدّقين أن (التيتانيك) غرقت بسبب الجبل الجليدى ؟!

ــ ماذا ؟ وهل هناك سبب آخر ؟

ــ ألم تسمعى مثلاً ... عن ....

توقفت لتنظر فى عينى قليلاً :

ــ الكاهنة الفرعونية التى أغرقت (التيتانيك) ؟

كانت زاوية نظرى لها لأعلى توحى بالرهبة ، أو ربما نبرة الصوت التى نطقت بها ، أو ربما الجملة ذاتها .... نعم ، بالتأكيد أن للجملة دورًا . الآن ، تمنحنى الابتسامة النهائية ، ابتسامة الرضا عن إنجاز المهمة ، ثم تلتفت مغادرة . فى لحظة أقتنص كفها بكل ما أملك من قوة :

ــ لا ، أرجوكِ ، احكِ لى كل ما تعرفين .

ــ قد حان موعد نومى .

ــ ساعدينى ، أنا فى أشد الحاجة لمعرفة القصة .

ــ غدًا يا صغيرتى .

ــ لا ، أرجوكِ ، اليوم ، الآن .

تحاول تحرير يدها بينما أشدد من تمسكى بها وأقول ببطء :

ــ قد لا يمهلونا للغد .

يشتت انتباهى خشخشة من خلف ظهرى ، ألتفت للحظة ، تسحب العجوز يدها دفعة واحدة وتسرع الخطا ، فى حين تلوّح بظهر كفها وتمد الصوت :

ــ إلى الغـد !

أقول فى يأس :

ــ إلى الغد العظيم !

أعود لأستبين مصدر الصوت : إنه (إلهامى) يستمتع بجنى الكادرات الشيقة . أقبض على المرآة ، ثم أجز على أسنانى بينما أعبر جواره :

ــ ألا توجد مواقف أكثر إحراجًا لتصوّرنى بها ؟!

~

Looloo
www.dvd4arab.com

أجذب الدبوس من رأسى بغل ، أخطو بغل ، وأريد أن أقتل أحدهم أيضًا بغل .. تصادفنى (مايا) فتجحظ لها عينى :

ــ ما هذا الذى ترتدينه يا (مايا) ؟

ــ إنه ثوب استحمام .

ــ أعرف أنه ثوب استحمام ، ولكنه عار جدًا .

تضحك فى دلال :

ــ أعرف أنه عار ولكن هذا لأنه ثوب استحمام .

ثم تلتمع عينها بنظرة ، تمسك بيدى فيما تصيح بـــ (أحلام) :

ــ يكفى بحثًا يا (أحلام) ؛ لقد وجدتها .

ثم تلتفت لى قائلة :

ــ نريدك أن تحكّمى بيننا فى سباق للسباحة .

أشيح بوجهى باحثة عن اعتذار ما :

ــ لنفترض أن إحداكما فازت وانقضى الأمر .

لا تعجبهما الفكرة ، تجذبانى من يدى . أقف على أطراف حوض السباحة فى انبهار : ثمة أضواء تتلألأ على الماء ، أم أنها انعكاسات النجوم ، أرمق (أحلام) و (مايا) تستعدان للقفز ، محظوظتان ، أرمق رجلاً وقد تمدد على ظهره على صفحة الماء يطالع النجوم ، سأقلّده .. كما أنا ودون تبديل ملابسى ، أعيد رفع شعرى وتثبيت الدبوس ، أترك ما بيدى إلى جانب ، أتجاهل مطالبات الفتاتين ببدء المسابقة ، وأنزل إلى الماء .

أرفع جسدى وأترك نفسى للماء .. أفك أعصابى عقدةً عقدة .. تتجاذبنى الفتاتان من أطرافى :

ــ أوكنتِ تعارضين الفكرة ؟ تستحقين هذا إذًا !

يختل توازنى ، أحاول الوقوف ، تتضاحكان وتقذفانى بكور من الماء ، أحمى وجهى بذراعى :

ــ يكفى يا بنات ! أنتما تزعجان الناس .

Looloo
www.dvd4arab.com

تحين منى التفاتة إلى الرجل الممدد على الماء ، لا يبدو عليه أى انزعاج ، أو حتى انتباه ، يساورنى خاطر غريب : لماذا لم يحرّك ساكنًا منذ رأيته ؟

أتجه إليه ، أمد يدى إلى كتفه ، يتأرجح ويسقط لأسفل ، أجذب يدى فأخفى فمى ، تصم صرخات الفتاتين أذنى ، يحضر رجال الإنقاذ ، والإسعاف ، وشرطة السفينة . أتسلل بعيدًا .

~

فى طريقى لغرفتى ألمح القلادة متوهجةً على عنق (سناء) فأتمنى لو أستطيع أن آخذها منها إمّا وديًا ، أو بجزّ العنق .

وفى الغرفة أغسل عن جسدى قطرات ماء متهمة بإغراق رجل . ثم أتخذ مقعدى أمام الكمبيوتر وأعمد إلى البحث عن كاهنة (التيتانيك) . وكل ما ترسّخ فى ذهنى قبل أن أنام أن ثمة كاهنة فرعونية تُدعى (آمين رع) من معبد (آمون) فى (طيبة) عاشت فى عهد (إخناتون) ، كانت ذات نفوذ وسحر ، وفى اليوم الذى تم اكتشاف مومياتها فيه وقعت الكثير من الحوادث والتى لم تكف عن الوقوع حتى تهريبها إلى (بريطانيا) ،

ويُقال : إن مومياءها كان مُعدًا للنقل إلى متحف بـ (نيويورك) ، فى تابوت خلف غرفة قيادة سفينة (التيتانيك) .

ثم غرقت أنا و(التيتانيك) : أحدنا بالمحيط ، والآخر بالنوم .

ثمة حلم رهيب يزورنى : أرى كأننى ... كأننى ... لا ، سأقاوم الحكى كى لا يتحقق .

Looloo
www.dvd4arab.com

4

المدللة التى ... والقلادة التى لم

فى الصباح تدق خدمة الغرف بشكل هستيرى على بابى ، أفتح عينى وأعب الهواء ، أحمد الله أنه لم يكن أكثر من حلم ، تعلق بأذنى مع الطرقات إحدى العبارات :

ــ استيقظوا ؛ فإنه وقت تفتيش الغرف .

ــ تقصدين تنظيف الغرف ؟

ــ بل تفتيش الغرف ، ثمة قلادة مفقودة من الآنسة (سناء) .

منحت نفسى نظرة إعجاب بالمرآة ؛ لم أعرف أنى فعّالة إلى هذا الحد . أضع معطفى على عجل وأخرج أستطلع الأمر . جلبة بالخارج ، ضبّاط فى كل مكان ، و (سناء) تولول وتتوعد . أحكم ضم المعطف ، وأتجه إليها ، يغلبنى التثاؤب فأخفى فمى بظهر كفى :

ــ يؤسفنى ضياع قلادتك .

تضرب (سناء) الأرض بقدمها وتبتعد عن مجال نظرى ، يقف ضابط على باب غرفتى ويسأل :

ــ لمن هذه الغرفة ؟

أجيب بحماسة :

ــ إنها لى ، تفضلوا .

يستدعى معاونيه ، أتقدمهم بابتسامة واثقة ، يتلألأ ضوء الصباح بغرفتى ، وخاصة فوق الماسة الزرقاء التى تبرز من تحت السجادة .

ترتعش ابتسامتى الواثقة . أخطو فى حذر نحو موضع الماسة ، أقف جوارها تمامًا ، أتلفت حولى فى حذر ثم ... هوب ... أدفعها بقدمى للداخل .

سيكون عندى مزيد من الوقت فيما بعد لأندهش ، لأتصدم ، لأضع آلاف التفسيرات لوصول القلادة إلى غرفتى ، أما الآن ، فكل المطلوب منى هو أن أحتفظ بالابتسامة الواثقة على وجهى عدة ثوان أخرى .

Looloo
www.dvd4arab.com

ينظـر إلى الضـابط ، يراقـب التفتيش ، يعود فينظر إلى ، يأمرهم بالمغادرة ، وقبل أن يغادر يسألنى سؤالاً واحدًا :

ـ لا أدرى ما سر كل هذه السعادة لتفتيش غرفتك !

تسقط ابتسامتى ، أغلق الباب خلفهم بالمفتاح ، ولا أنا أدرى ! أنحنى حيث كانت : نعم ، هى ، هى : (قلب المحيط) ، هذا شىء يعرفه المرء بالسليقة . مهما يكن من أمرها ، إن كانت سُرقت أو ضاعت أو قفزت لتستريح تحت سجادتى ، لو أن أحدهم سرقها ثم أراد أن يتخلص منها ، أو أن أحدهم سرقها وأراد أن يتهمنى بها ، أو أن أحدهم سرقها وأراد أن يهدينى إياها ، فى كل الأحوال يجب أن تعود إلى (سناء) .

وضعتها فى جيبى ، أخذت نفسًا عميقًا وخرجتُ من الغرفة . اتجهت رأسًا إلى (سناء) :

ـ (سناء) ، عزيزتى ، هل بحثتِ جيدًا فى غرفتك ؟

أجابتنى بتشكك :

ـ أجـل .

ـ هل بحثتِ فى الدولاب ؟

ـ نعـم .

ـ تحت السجادة ؟

ـ نعم .

ـ فى الأدراج ، تحت السرير ؟

ـ نعم ، أجل .

أتوقف للحظة ، أعود فأقول :

ـ فى جيوب الملابس .

ـ لا .

أدفعها فورًا إلى غرفتها قبل أن تعى ما يحدث ، تدير المفتاح فأدخل خلفها ، تتجه مباشرة إلى الدولاب فأتجه إلى الكومود ، أفتح الدرج بحذر وأسـقط القـلادة ، ألتفت إلى (سناء) فى طريقى للباب :

ـ والآن أتركك تكملى بحثك ، وأنا واثقة أنك ستجدينها .

أمنحها ابتسامة الضفدع ، وأغادر .

Looloo
www.dvd4arab.com

آه ..

أمنح الهواء بصدرى فرصة عمره : أنت حُر .

أذهب إلى غرفتى أبدل ثيابى ، أحمل أوراقى وأقلامى وأفكر بينما أصعد للسطح : سيكون رائعًا لو حصلت على إفطار .

أدلف إلى المطعم ، يتطلع إلى أحد العاملين بحيث لا يمكننى تجاهله ، أحاول أن أقول :

ــ إحم .. هل يمكننى ... أقصد ماذا عن ....

ــ هل تعنين الإفطار ؟

ــ نعم .

ــ موعد الإفطار بعد ساعة .

ــ ولكن ، أنا جائعة جدًا ، هل يمكن أن أحصل عليه الآن ؟

ــ هذا غير ممكن ، أعتذر .

ــ ولكن ، أنا حتى لم أحصل على عشائى البارحة ، أخبرك شيئًا ، مرر لى أى شىء .

يشير بطرف ذقنه إلى الباب :

ــ هذا غير مسموح ، تفضلى .

أبادله العدائية بمثلها :

ــ حسنًا ، هوّن على نفسك ليحدث لك شىء .

كنت الآن على باب المطعم ، وكان مرتكنًا إلى الباب ذاك الفتى الـ .. نبيل . اتسعت عينى : هل شاهد ما حدث ؟! مد إلى يده بعبوة قائلاً :

ــ بسكويت ؟

~

نجلس فى الكافيتيريا ، أتحسس شعرى بارتباك .. يا إلهى ! نسيت أن أثبّت الدبوس :

ــ إذًا .. اسمى (ليلى) ، وأنت ؟

ــ (نائل)

ــ أعرف .. سمعتهم ينادونك .

يبتسم فى رقة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ إذًا ، لماذا تسألين ؟

ـ لـ .. لإذابة الثلج ربما .

ـ أرجو المعذرة ، ربما أنى لست اجتماعيًا بما يكفى .

ـ لا عليك ، من يستطيع أن يكون اجتماعيًا مع هذه المجموعة المتوحشة من الرفاق ؟!

ـ لكن من الضرورى الاندماج معهم ما دمنا سنبقى هنا فترة قد تطول .

ـ أعرف ، ولكنى لم أستطع أن أحب هذه التجربة أبدًا . دومًا أشعر بانقباض ، تعرف ، لقد حلمت بكابوس بالأمس : رأيت وكأن السفينة غرقت ولم ينجُ أىٌّ منا ، ورأيت أمى حين انتشال الجثث تبكى جثة أخرى وقد خلطت بينها وبينى ، وأنا فى القاع أصرخ : هذه ليست أنا يا أمى ، جثتى هنا ، تعالى ، تعالوا جميعًا ، لكن أحدًا لا يأتى لينتشلنى . فما رأيك ، هل تظن أنه محض حلم ؟

ـ هو محض قلق . الجو الغريب والمنافسة وحلم الفوز ، كلنا نمر بذات الشىء ، هل كتبتِ شيئًا للآن ؟

ألمح السيدة العجوز تدلف فيما أجيب :

ـ لا ، ولكن ...

أشير إلى العجوز :

ـ هذه السيدة لديها ما يثير اهتمامى .

يرتفع صوت بكاء طفل من مائدة مجاورة .. يصيح (نائل) :

ـ إذًا ماذا تنتظرى ؟! هيا اذهبى إليها .

يصم بكاء الطفل أذنى .. أنقّل بصرى بين (نائل) والعجوز ، أقطع أمرى :

ـ حسنًا ، أراك لاحقًا .

يبتسم :

ـ أمنياتى .

أخطو نحو العجوز ، هذا الطفل يصيبنى بالجنون ! أتابع السير ، ماذا دهاه هل فقد عقله ؟! يصير البكاء صراخًا ، أعدّل من مسيرى فأتجه نحو مائدته . أرمقه عن كثب : يبدو لى فى استدارة وجهه وضيق عينيه ونظرته الخاوية طفلاً منغوليًا ،

www.dvd4arab.com

وبجواره أمه قليلة الحيلة تحاول تهدئته دون فائدة ، رسمت على وجهى ابتسامة بالكاد ، ومددت يدى ببعض البسكويت للطفل فيما أسأل الأم :

ــ ما به ؟

ــ لا أعرف ، أخشى عليه أن يحدث له شىء ، يقولون : إنه يبكى حين يرى شخصًا شريرًا .

أسأل بتشكك :

ــ من هم ؟

ــ الأطباء ، يقولون : إنه يملك نوعًا من الحدس يجعله يبكى لدى رؤية الأشرار ، شىء مثل نهيق الحمار لدى رؤية الشيطان كما أخبرونى .

ثم بدأ صوتها يتهدج بالبكاء :

ــ طفلى سيروح منى ، المشكلة أنه فى كل مرة تصيبه النوبة تموت خلية فى مخّه حتى لن يبقى له خلايا وأنا هنا بلا حيلة .

أنظر حولى إلى الجموع الجالسة فى الكافيتيريا ، لن يمكننى طردهم جميعًا ، ولذلك أحمل الطفل ، وأساعدها على النهوض :

ــ إذًا دعينا نغادر هذا المكان .

نمر نحو مائدة العجوز فيما نتجه إلى الخارج ، يعلو بكاء الطفل حتى منتهاه ، تقف العجوز وتمد يديها إلى الطفل عارضةً خدماتها :

ــ تعالَ إلى الجدّة العجوز ، إنها تعرف كيف تُسكتك .

وتتناول الطفل من بين يدى .. يصرخ الطفل صرخة واثنتين ثم ينقطع صوته ، يزرقّ وجهه ، وتتشنج عضلاته فى صرخة بلا صوت ، فيما تتجه عيناه إلى ، أحسّهما استجداءً خفيًا ، أمه فى حالة انهيار ، والعجوز ستسكته إلى الأبد .

أخطفه فى سرعة من بين يدى المرأة وأجرى به إلى الخارج تتبعنى أمه ، يتوقف عن الصراخ ويبدأ فى التنفس ، تلتقطه الأم وتحمد الله مرارًا ، أعود فيما عقلى لا يكف يعمل : ما كان معنى هذا ؟

أخطو نحو مائدة العجوز ، تبادرنى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هل توقف عن البكاء ؟

أسحب كرسيًا وأجلس :

ــ نعم .

ــ علّه رأى ما يزعجــه ، الأطفــال حساسون كالــ ... حيوانات !

أومئ فى شك ، أنتقل إلى النقطة ، النقطة|النقطة|النقطة :

ــ أرجو ألا تكونى أخبرتِ أحدًا .

ــ عن ماذا ؟

تصيبنى خيبة الأمل :

ــ عن الكاهنة التى أغرقت (التيتانيك) ، أنسيتِ ؟

ــ لا ، لا ، بالتأكيد لم أخبر أحدًا ، هى قصتك .

ــ عظيم ، إذًا احكِ لى كل شىء .

امتلأ صوتها بالفخر وكأنها تتحدث عن ابنها البكر :

ــ آآآه .. ماذا أخبرك ؟ كاهنة ، فى ذلك الزمن القديم ، هل تعرفين ما معنى هذا ؟

ــ ماذا ؟

ــ معناه القوة ، السلطة ، النفوذ ، العلم ، السحر ، الأسرار ، الاتصال بالآلهة .. لو تحدثنا عن كاهنة من زمن الفراعنة لقلنا : إنها امرأة محظوظة جدًا ، أليس كذلك ؟

ــ بلى .

انتفضتُ لصرخة العجوز :

ــ بلى ! بهذه البساطة تقولين بلى ؟! سهل على من يجهل مثلك أن يقول هذا ، وبعد أن أحكى لكِ سنتحدث ثانية بشأن الــ « بلى » .

Looloo
www.dvd4arab.com

5

الطفلة التى ... والأب الذى لم

(آمين رع) ...

الابنة الوحيدة للكاهن المهيب المبجل بين العامة والخاصة والآلهة ، الكاهن الذى فعل كل شىء كى يرى ابنته كاهنة ، شىء وحيد لم يعمل حسابه .

(آمين رع) لا زالت تذكر التماع النصل فى اقترابه إلى بين فخذيها ، حينها قال والدها : « لأنه لا يدخل قدس الأقداس إلا المطهرون » . تذكر جلوسها القرفصاء أمام المعلم بإحدى قاعات المعبد ، حينها قال والدها : « لأنه لا يدخل قدس الأقداس إلا العالمون » . تذكر عودة والدها إلى البيت محملاً بشتى أصناف اللحم والفاكهة .. ثم يبسطها إلى المائدة ويطعمها فى فمها :

ـ كلى يا ابنتى ، هذا من خير الآلهة .

تسأله أمها :

ـ هل اقتطعتها من قرابين العامة للآلهة هذه المرة أيضًا ؟

يرد عليها بجفاء :

ـ وما المشكلة ؟ أليس أفضل من أن تأكلها النيران ؟

تشيح الأم بوجهها ، يضيف بثقة وكأنه يرمى بورقته الرابحة :

ـ ثم إن كل الكهنة يفعلون ذلك الشىء .

لا يبدو تحسن على الأم ، أما الطفلة ، فتستغل انشغالهما وتطوى ساق ثور ضخمة فى طرف ثوبها القصير بالفعل ، فلا تختبئ لا ساق الثور ولا ساقها . تتسلل إلى الفناء الخلفى ، وتنادى بصوت خفيض :

ـ (بورخف) !

يلوح لها على البعد : صغير ، ضئيل ، لكنه يحمل قدر وزنه شيئًا لها ، شيئًا لا تعرف ما هو ، لكنها تعرف أنه لها وحدها :

ـ تعالَ يا (بورخف) .. خذ هذه وكُلْها كلّها .

يستحى أن يأخذ منها ، لكنه يوافق فقط حين تبدأ فى استخلاص شريحة وإطعامه إياها بيدها ، ينتفض كمن تذكّر شيئًا ، يختفى للحظة ثم يعود طاويًا يدًا خلف ظهره ، تصيح :

ـ ما الذى خلف ظهرك يا (بورخف) ؟

ـ أحضرت لك هدية .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وما هى ؟

ـ الشىء الوحيد بالكون الذى يوازى حلاكِ .

تتورد وجنتاها :

ـ هل هى فطيرة عسل ؟

ـ لا .

ـ هل هى زهرة لوتس ؟

ـ لا .

ـ إذًا ما هى ؟

يزوغ نظر (بورخف) بينما يقع على ما خلف ظهرها ، يرج صوت والدها المكان فيما تمتد يده لتقبض على عنق الطفل :

ـ ما الذى تفعله فى فناء بيتى أيها اللص ؟ ومن أين حصلت على هذا اللحم ؟

يسقط اللحم من يد (آمين رع) ، يسقط ما كان خلف ظهر (بورخف) إلى الأرض ، يرتعش جسده كله :

ـ دعنى .. أنا لست سارقًا .

تهوى يد الكاهن ثقيلة على وجه الطفل :

ـ إذًا لا أراك هنا ثانيةً أبدًا .

يدفع به إلى بعيد ، ويدفع بها أمامه إلى البيت ، تخطو إلى غرفتها وتغلق الباب ثم تلتحم بالفراش ، تسمع صوت أبيها من خلف الباب يصيح بالأم :

ـ اصنعى لها فطيرة عسل ، لكن لا تمنحيها إيّاها قبل أن تأتى وتقبّل أباها .

طوال الليل لا أفكر إلاّ باثنتين : السريقة التى أهديتها (بورخف) ، والهدية التى لم يهدنى إياها ... لا أستطيع النوم حتى أنى أتكبد مغامرة الخروج من الغرفة وعبر الصالة وإلى الفناء الخلفى ، أتحسس فى الظلام الأرض المترية فى الموضع الذى أسقط فيه (بورخف) الهدية ، أحمل كنزى وأهرول إلى الغرفة . وعلى ضوء شعاع قمر متسرب من النافذة استطعت أن أرى فى المرآة التى أهدانى (بورخف) : الشىء الوحيد بالكون الذى يوازى حلاى !

~

أجد أنى مضطرة للمقاطعة :

ـ آحم .. حلاك ؟

ـ حلاى ! من قال حلاى ؟ بل حلاها

Looloo
www.dvd4arab.com

أستعيد فى عقلى ما قالت : حلاى/حلاها .. لا أدرى ، ربما . فقط لا يمكننى إلاَّ أن أرى (روزيت) نفسها فى كل كلمة ، وليست الكاهنة ، أذهب فى محاولة أخرى :

ــ تبدين على علم كامل بالتفاصيل ، هل لى أن أسأل : كيف عرفتِ ما عرفتِ ؟

تبذل جهدها للوقوف :

ــ حين تحكين هذه القصة بعدى ، لا تفصحى عن مصادرك .

أستوقفها :

ــ حسنًا ، حسنًا ، فقط أكملى لى الحكاية ، ولن أعلّق . هل صارت كاهنة ؟ هل تزوجت (بورخف) ؟ هل عرفت أن ذاك الشىء الذى يحمله لها هو الـ ... حب ؟

ــ فيما بعد يا صغيرة ! فيما بعد !

أطلق الهواء المعلق بفمى :

ــ همففف ! حسنًا ، أنا المخطئة بالمقاطعة .

6

الغداء الذى ... والغطيرة التى لم

أضع ساقًا على ساق وأرجع برأسى للوراء ... فى أى زمان ومكان لا يمكن أن نغفل الحب . ولكن ، الكاهنة الشريرة التى أغرقت (التيتانيك) ، أيجب أن تظل شريرة للأبد ، أم .. قد ينجح الحب فى إكسابها بعض التعاطف ؟

ليكن هذا رهانى فى القصة . أنظر فى ساعتى ، ها قد فات موعد الإفطار ، ولست متضايقة ، فالآن أحصل على المزيد من البسكويت والشاى ، ثم أبدأ بالكتابة مباشرة .

أنكب على الأوراق ، كان الجزء الخاص بالبسكويت والشاى يسيرًا ، ولكن الجزء الخاص بالكتابة ليس على ما يرام .. كيف سأدمج قصة كاهنة (التيتانيك) مع قصة بحرية حتى يمكننى أن أربح الجائزة ؟ أسمع تلك الـ « كليك » الخاصة بعدسة (إلهامى) :

ــ لا تخدع الناس ، من فضلك .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كيف ؟

ـ بهذه الصورة يظنوننى أكتب .

ينزل الكاميرا إلى المائدة ويتخذ مقعدًا :

ـ ألا تكتبين ؟

أمرر إليه الأوراق البيضاء .. يتمثل الاستياء :

ـ هذا سيئ جدًا ، مررت على أناس سوّدوا صفحات .

ـ شكرًا لطمأنتى ، والآن هل تتركنى وحدى حتى أستطيع أن أكتب ؟

ـ ماذا ؟ وهل أنا المشكلة ؟ إذًا لتعلمى أنك كنتِ وحدك حين كانت الصفحات بيضاء .

أبتسم نصف ابتسامة .. تأخذ أذنى الموسيقى الحالمة لـ (التيتانيك) .. أنظر للشاشة فأتابع :

« (روز) العجوز بملابسها البيضاء تقترب حافية القدمين من حافة السفينة ، تصعد خطوة من السور ، ثم تبسط يدها المكرمشة عن (قلب المحيط) ... تذكر فى شبابها كيف وجدت

القلادة فى معطف خطيبها الذى ألبسها إياه ليبدو شهمًا .. تلتمع بعينها نظرة مكر ، وببطء تلقى بالقلادة إلى قاع المحيط ، ثم تبتسم فى رضا وتستنشق الهواء » ..

أشعر بوخز شديد فى رأسى ، تظلم الشاشة للحظة وتتشتت الصورة ، ثم تنتظم من جديد فأتابع الإرسال : لا زالت (روز) العجوز تبتسم برضا بعد قذف القلادة ولكن وسط بياض ثوبها وشعرها هناك بقعة زرقاء تلتمع على عنقها .. رقعة بحجم : (قلب المحيط) !

أصرخ :

ـ مـ ... ماذا ؟ هل يخرّف الفيلم .. ألم تُلقها للتو ؟

www.dvd4arab.com

يَعجب (إلهامى) :

ــ ماذا تقولين ؟

ــ أقول لك : إنى رأيت هذا المشهد عشر مرات ولا يحدث فيه هذا .

ينتقل الوخز من رأسى إلى صدرى ، يزداد حتى ليصير كالصاعقة ، أمد يدى إلى موضع الألم ولكنها تصطدم بشىء له حدود القلب ولدى دافع قوى للظن بأنه : (قلب المحيط) بالذات . أخشى أن تذهب روحى الآن حالاً ، أرفع سحّاب الجاكيت بسرعة كبيرة حتى بداية العنق ، بينما أرمق (إلهامى) بنظرة جاحظة :

ــ هل رأيت شيئًا ؟

يرد فيما يلتزم آخر كرسيه وكأنه يخشى منى :

ــ شىء مثل ماذا ؟

يقع بصرى على الكاميرا الخاصة به الملقاة على المائدة ، أرتفع ببصرى إليــه ببطء دون أن أرفع وجهى ، أثبّت نظرى عليه للحظة ، ثم أمد كلتا يدى دفعة واحدة لالتقاط الكاميرا بينما أصيح :

ــ يجب أن تمسح الصورة التى التقطتها لى .

يبسط يديه فوق يدى ، يدافع بكل قوته عما يظن أنه ملكه :

ــ هذه الكاميرا تخصنى وأنا أؤدى عملى ، دعيها وإياكِ أن تلمسيها .

ــ هذه الصورة ملكى وحدى ولن أدع الكاميرا حتى أمحوها .

أنجح فى استخلاص الكاميرا ، وأرتمى بقوة القصور الذاتى إلى بعيد . أرمق الصورة ، أتفحص جيدًا : ها أنا ، ولكن لا أثر للقلادة . يأتى (إلهامى) ولا زال يبرطم برطماته :

ــ امنحينى هذه الكاميرا حالاً وإما ....

يقطع عبارته ويرقبنى بنظرة دهشة فيما أدفع بالكاميرا إلى يديه وأمضى .

~

أقف أمام المرآة بغرفتى ، بعد لحظات سأزيح السحّاب فأرى إن كانت (قلب المحيط) معلقة بعنقى أم لا .

Looloo
www.dvd4arab.com

أبدأ برفع شعرى بكلتا يدى وتثبيته لأعلى بالدبوس ، قبل أن أنتبه أنه مُثبّت سلفًا .

ثم ماذا ؟ ماذا قد أفعل إن كانت هى قلب المحيط ؟

ألتقط نظّارتى وأضعها على قصبة أنفى ، ثم أتذكّر أننى لا أملك نظّارة .

لو أن الأمر مادى فسأُسجَن ، ولو أنه ميتافيزيقى فسأُسجَن ثم أُجَن .

أزيح السحاب ببطء إلى أسفل .

من قال للحظة : إن الأمر مادى ؟

أتلمس بإصبعى حدود (قلب المحيط) ... (قلب المحيط) الذى امتلكته يومًا أحلى النساء .. (قلب المحيط) الذى فُتنت به كل النساء .. (قلب المحيط) الذى اختارنى أنا بالذات لأتّهم فيه .

مهما يكن ، أدير القلادة بحيث يصبح القفل بين يدى أمام المرآة ، أحاول بكل استطاعتى أن أثنى طرف القفل لينسل العقد ولكنـــه إما متصلبًا ، أو يتفلّت ، أو لا أستطيع تصويب إصبعى

إلى طرف القفل ، لا أستطيع ، لا أستطيع ، لا تتركنى أتخلص منها ، سأُجن ، سأُجن .

تأتينى طرقات من خلف الباب ، أرفع سحّاب الجاكيت ثم أفتح لـــ (مايا) ، فتبادر بالنظر عن جانبى إلى الداخل :

ـــ (ليلى) ! هل تحدّثين نفسك ؟

ـــ مرحبًا (مايا) ! هل هناك شىء ؟

ـــ أبـــدًا ..

تقول بدلال ، وكأننى قد أخضع لدلالها :

ـــ أنا فقط أريد أن أقترض فستانك الأسود ، تعرفين .. سأذهب الليلة للسينما مع (سمير) و ...

تأسرنى رقتها ، أبتسم فى حنين بينما آخذها وأُجلسها على حافة السرير :

ـــ هل تحبينه يا (مايا) ؟

ـــ نعم ، كثيرًا .

ـــ وهو ، هل يحمل لكِ ثقل جسده شيئًا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

تعقد حاجبيها فى عدم فهم ، تومئ بتردد :

ــ هو يحبنى أيضًا .

ثم تقفز إلى الدولاب تفتحه :

ــ والآن ، أين الفستان ؟

تتناوله وتستدير :

ــ ولكنى لا أشعر أنك على ما يرام يا (ليلى) ، ألا زلتِ تفكرين فى غريق أمس ؟

ــ ليس وحده يا (مايا) ، لكنها عدة أمور مريبة تحدث ، ألا تشعرين ؟

تقترب وتقول بجدّية :

ــ لو كنتِ تقصدين ضياع قلادة (سناء) فأنا أؤكد لكِ أنها حيلة .

ــ حيلة ؟ كيف ؟

ــ إنها حيلتها هى ، نعم ، هذه الفتاة الخبيثة تريد أن تلهينا بضياع القلادة والاتهامات بسرقتها فيما تعكف هى على الكتابة . ألاعيب تحتية ! ألم أقل لكِ ؟

أبسط يدى فى براءة :

ــ لا تظلميها يا (مايا) !

~

أغلق الباب خلفها ، لا يمكن أن تعود الحياة إلى ما كانت عليه قبل أن تعرف أن قلادة هاربة معلّقة بعنقك . لابد أن (روزيت) تعرف سر هذه القلادة ، أليست قلادتها ؟ ولكنى جائعة جدًا وعلى عنقى أن أفوّت الغداء هذه المرة .

أضيف كوفية إلى ما حول عنقى ، وأتجه رأسًا إلى المطعم ، أحمل صينية طعامى وأبحث عن مائدة ، ألمح (روزيت) بالركن ، عصفورين بحجر!

أنزل صينيتى على مائدتها :

ــ حمدًا لله أنكِ هنا ، أحتاجك فى أمر عاجل جدًا .

ــ تفضلى يا عزيزتى ، أنا أنهيت طعامى وكنت مغادرة ، ولكن سأطلب شيئًا للتحلية بينما ندردش معًا .

ــ أعتذر عن إزعاجك كل مرة بهذا الشكل ، ولكن صدّقينى هذه المرة الأمر جد خطير .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ خيرًا يا عزيزتى .. ما الأمر ؟

هممت أن أنطق لكنها استوقفتنى :

ـ عذرًا للمقاطعة ، لحظة واحدة .

ثم أشارت بيدها للنادل :

ـ احضر لى من فضلك : فطيرة عسل .

ثم حولت وجهها لتنظر إلى بتحدٍ ، توقفتُ للحظة عن التنفس ، بادلتها نظرة فارغة ، وحين استجمعت الصورة بدأت أنطق :

ـ هل تريدين أن تقولى .. أنكِ أنتِ الكاهنة ؟

ضربت بقبضتها الهواء :

ـ يا إلهى المجيد ، توكِ فهمتِ ؟ ماذا حل بذكاء المصريين !

أحاول الحفاظ على ثباتى :

ـ وماذا عن السيدة الأجنبية ابنة (روز) التى تحمل زوجها فى تابوت لتدفنه فى مسقط رأسه ؟

ـ أنا حللت بجسدها .

فشلت المحاولة ، هبت واقفة :

ـ اخدعى غيرى أيتها العجوز الخرفة .

أمسكت يدى وقالت بهدوء :

ـ لا بأس ، اجلسى ، إذا كان هذا الموضوع يزعجك دعينا لا نتحدث عنه ، ما رأيك أن نتحدث عن موضوع القلادة الذى جئت تسألينى بشأنه ؟

ـ عظيم ، رائع ، وهل تقرئين الأفكار ، أم لديك قرون استشعار ، أم ترين من تحت الملابس ؟

ـ أمركِ غريب يا حفيدة الفراعنة ! ثمة رجل قال لك : إن لديه صديق وهمى ، وامرأة قالت : إن ابنها يبكى لدى رؤية الأشرار ولم تسخرى منهما .. فلماذا تعاملينى أنا بهذا الشكل ؟

أمرى غريب ؟! يهتز جسدى فى ضحكة دون صوت .. كاهنة منذ زمن الفراعنة حلت بجسد امرأة من زماننا تقول لى أنا إن أمرى غريب !! أغمض عينى وأهز رأسى كأنما أنفى الفكرة .. ولكن كيف تعرف كل هذه الأشياء ؟ أتهاوى فوق المقعد ، يسقط رأسى بين كتفى ، أرفع ذراعى براية استسلام وهمية :

www.dvd4arab.com

ـ أريدكِ أن تُفهمينى كل شىء .

ـ لا شىء أقوله يا عزيزتى ، لا شىء غير منطقى ، من خلال هذا الجسد أنا أبحث عن حقى فى الحياة التى سُلبت منى فى عهدى الأول ، ومن خلالك أسعى لأن أعلم العالم كله بالجملة السابقة . أريدك أن تكتبى قصتى ، انقلى لهم الحقيقة ودعيهم يقررون إن كنتُ محض شريرة أم عاشقة للحياة .

ـ ولماذا أنا ؟

ـ أنا لدى أسباب للاقتناع بكِ ، أنتِ فتاة مصرية متدينة ماهرة بالكتابة ، لستِ فتى لا يتفهم مشاعر الأنثى ، لستِ أجنبية الأصل كـ (مايا) ، ولا عابثة كـ (سناء) ، ولا ضحلة الفكر كـ (أحلام) ، ولا جامدة المشاعر كـ (رجاء) ، ومع هذا لستُ أنا من اخترتك .. أنتِ التى ظللت تدورين حولى متوقعةً أن لدى ما هو جدير بالكتابة ، ولم أخذلك .

ـ وماذا إن رفضتُ ؟

رجعت بكرسيها للوراء :

ـ لا شىء .. سأبحث عن غيرك ، ولن أعدم أن أجد الطموح الذى يرغب بالانفراد بنشر القصة الحقيقية للكاهنة التى أغرقت (التيتانيك) موثقة بشهادات الكاهنة ذاتها ، وقليلاً ما لم يحصل على المليون جنيه .

ثم نظرت فى عينى بمكر تنتظر إجابتى على سؤالها الضمنى ، تفاديتُ نظرتها وأومأت برأسى :

ـ سأكتبها .

سرحتُ للحظة فى مفرش الطاولة الأزرق ، همستُ بكلمة يبدو أنها لم تسمعها ، قالت :

ـ عفـوًا ؟

أعـدتُ :

ـ والقلادة ؟

ـ آه .. القلادة .. ذاك المزاد لم يكن لتختار إحدى الفتيات القلادة ، ولكن لتختار القلادة فتاتها .

ـ ما معنى هذا ؟ إنها قلادتك وعليك أن تخلصينى منها .

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وهل يزعجك أن تقتنى قلادة ثمينة بهذا القدر ؟ ثم إنه لا خوف منها ، لا أحد يراها غيرك .

ثم أشارت إلى (إلهامى) على البعد :

ــ كما أنها لا تظهر فى الصور .

مرت دقائق صمت قبل أن تقترب بوجهها وتقول بحنان :

ــ تناولى طعامك ثم لاقينى على السطح نكمل ما بدأناه .

ثم قامت وابتعدت خطوات قبل أن تستدير قائلة :

ــ لا تتأخرى ، فلقد تملكتنى نشوة البوح .

~

على السطح بدت الكاهنة فى حالة توهج ، وجهها مشرق ، عينها لامعة ، وقد حلت عقدة شعرها الأبيض فتطاير مع النسمات .. رشفت من كوبها باستمتاع ، وما أن رأتنى حتى صاحت :

ــ فى تلك الليلة ، كان كل شىء يحدثنى أنها ليلة محو ..

7

الشابّة التى ... والليلة التى لم

منذ ألف ليلة .. وفى نفس الموعد .. أذهب لنفس المكان ..

أستند بظهرى إلى جذع شجرة ، ورأسى معلّق بالسماء : أحصى النجوم .

ولكن فى سبع وعشرين ليلة فقط .. استطعت أن أصعد لألمس النجوم .. وصادف ، أنها الليالى التى يأتى فيها (بورخف) .

لم يكن ليمكننى توقع متى يعود ، فإجازاته من العمل خارج البلاد ليست منتظمة ، والطريق وحده يستغرق أشهرًا ، ولكنه حين يعود يأتى فيجدنى فى تلك الغابة ، نُمضى ليلة تمحى كل ما مضى من ليالى البعد ، فأسمى تلك الليلة : « ليلة محو » .

هذه الليلة أصغى بإنصات لدقات قلبى ، حفيف الأوراق ، هسيس الرياح ، النجمات ، الحشرات ، طرف ثوبى .. كل شىء يحدثنى بأنها ليلة محو ...

ويصدقون .

Looloo
www.dvd4arab.com

أراه .. على حافة الغابة .

بالضبط كما هو لكن : أكثر نحافة ، أكثر اسمرارًا ، قامته أطول قليلاً ، وشعره أطول كثيرًا .. يا إلهى .. ماذا بقى به كما هو ؟ يُسقط حقيبته ، يقف بالمثل يرمقنى فى ذهول ، ثم يقول :

ــ هل كبرتِ قليلاً .. أم يهيأ لى ؟

أومئ دامعةً :

ــ غبت كثيرًا هذه المرة يا (بورخف) .

يداعب شعرى مبتسمًا :

ــ تقولين هذا فى كل مرة !

ينظر فى عينى لحظة قبل أن يضمنى بعنف .

نجلس تحت الشجرة ، أوسده حجرى بينما يستلقى ناظرًا للسماء تارة ، وتارة لى ، ثم يقول وقد حزم أمره :

ــ أنتِ الأحلى .

يعتدل جالسًا ، يقبض على شىء من حقيبته ، ثم يبسط يده أمام وجهى .. أبعد عينى ، لا أتحمل كل هذا الوهج وسط الظلام .. أعيد نظرى شيئًا فشيئًا ، أهتف كالمأخوذة :

ــ يا (آمون) المجيد ! ما أجملها ! هل هى مسحورة ؟

ــ لا أستبعد ، لا أشعر فى لحظة أنها محض قلادة .

أزيح شعرى وأستدير ، بينما أقول بخبث :

ــ ها قد وجدتَ ما يوازى حلاى !

يثبّت القلادة حول عنقى فيما يقول :

ــ فقط لأنك حين تنظرين إليها فى الضوء ، ينقل لك بللورها ألف انعاكس لوجه حبيبتى (آمين رع) .

يفهمنى (بورخف) .. لا يخذل توقعاتى عن مقدار حبه لى ولا لمرة واحدة فقط .. أسأله :

ــ من أين حصلت عليها يا (بورخف) ؟

ــ صنعتها لك بيدى .. وجدت حجرها بينما أنقب فى المنجم .. كان الوقت ليلاً وكنّا متعبين حين لمحت شيئًا يلمع بالأرض .. اقتربت فكانت عظمة تلتمع تحت ضوء القمر .. حاولت جذبها لكنها بدت عصية جدًّا .. كررت المحاولة عدة مرات بينما الرفاق ينادون كى ألحق بهم لننصرف ، لكن عناد هذه العظمة قد أثار جنونى ، أخبرتهم أن ينصرفوا هم وسألحق بهم .. أحكمت يدى

Looloo www.dvd4arab.com

على رأس العظمة وبدأت أجذبها بينما أسمع آخر دبيب لآخر رجل منهم ينصرف ، وهى اللحظة التى وجدت نفسى فيها أندفع إلى بعيد وأسقط فيرتطم رأسى بحجر وبيدى العظمة !

كان يمكننى أن أكتفى ولكن الإثارة التى تسللت لدمى قد أطاحت بكل التعب ، وراهنتنى على المزيد من الكشف بالمزيد من الحفر ، وهكذا حفرت أعمق حتى وجدت عظمة جديدة ، زودت الحفر ، بينما أزيح المزيد من العظام ، وعند عمق بعيـــد جدًا ، بدأت الأرض تتوهج من تحت العظمة الجديدة ، أزحتها فانكشفت الرمال عن حجر أزرق يتوهج ، أزحت الرمال بيدى برفق حتى حصلت على هذه الماسة المدهشة .. كان حجمها أكبر من هذا بكثير ، لكنى قدّرت أنى يكفينى منها قطعة صغيرة بحجم القلب . ولكن انتبهى .. فما يحمله هذا القلب الصغير قد يكون أكبر من المحيط ..

أخذتنى الكلمة ... المحيط .. المحيط ؟ :

ــ المحيط الذى بقدره حبى لك ..

ــ المحيط الذى بقدره بعدك عنى .. سأسمّى هذه القلادة : (قلب المحيط) .

ــ لن أخلعها عن عنقى يا (بورخف) ، سأحفظها بقلبى ، سأناجيها فى بعدك ، سأوسدها صدرى ، وأغنّى لها ، وأسقيها دموعى ، سأبثها أنفاسى وروحى ونبض قلبى إلى أن تصير بعضى ، حتى إذا أتيتَ فى المرة القادمة منحتها لك ، فلئن لم أستطع أن أكون لك فسيكون بعضى ملكك إلى الأبد .

« إلى الأبد » ...

نبّهتنى اللفظة إلى الصباح قد أوشك على الطلوع .. أوصلنى (بورخف) إلى المنزل .. ثم سألنى ككل مرة :

ــ هل نجحت ليلة المحو فى أداء عملها هذه المرة ؟

ــ نعم ، بالتأكيد .

واستدرنا ، خطوتُ فى طريقى ، وخطا فى طريقه ، وأدهشنى أن قمنا بـــ « الوداع المثالى » بهذه البساطة ، ها قد نجحنا بعد تدربنا فى سبع وعشرين درسًا سابقًا . ولكن لا ، من قال أنى قد نجحت ! أستدير وأجرى لأرتمى بحضن (بورخف) ، وقد تصاعد الدمع حد الانهيار :

ــ لا يا (بورخف) ، الحقيقة أن لا ، لم تنجح هذه الليلة فى محو عذابى السابق ، لقد زادته أضعافًا بقدر كل الليالى التى مرت

Loolooo www.dvd4arab.com

على ولم تكن كهذه الليلة .. لقد عرّت كل حرمانى دونك ، لا يمكن أن تمنحنى ليلة كهذه ثم تأخذها منى ثانية .. لا يمكن أن أفرط بك بعدها أبدًا .

بدأ (بورخف) يمسح دمعى فيما كان هو بحاجة لمن يمسح دمعه .. كان يقول :

ــ سأعود .

ويظل يردد :

ــ سأعود .

ولكنى كنت أشعر أنه لن يعود ، إن ليلة المحو هذه ستمحى أشياء أكثر بكثير من عذاباتى السابقة . وحين استطعت أخيرًا الولوج إلى المنزل ، كان أبى جالسًا بانتظارى .

~

صمتت (روزيت) ورفعت رأسها إلى النادل ، بينما تزيح دمعة بظهر كفها :

ــ ماذا تريد ؟

مد يده ببطاقة :

ــ تفضلى بطاقة الحساب .

حاولتُ أن أبدو لطيفة :

ــ عفوًا ولكن ألم يكن يمكنك ..

لم أستطع أن أحتمل اللطف أكثر من هذا ، ارتفع صوتى :

ــ أن تنتظر حتى نطلب نحن الحساب ؟!

ارتبك النادل :

ــ عــذرًا ، الحقيقــة أننا نبــدل الورديات ، ويجب إتمام المحاسبــ .... .

تتدخل (روزيت) بينما تدفع النقود :

ــ لا مشكلة يا عزيزى ، لم يحدث شىء .

رقبتُ النادل بينما يأخذ الحساب ويتجه إلى مائدة أخرى ليزعج أصحابها :

ــ حسنًا ، لنكمل ، ماذا فعل والدك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل يمكننى التوقف قليلاً عن الحكى ؟ قد أنهكنى التذكر واستنزف مشاعرى ..

ـ حسنًا ، سآتيكِ ثانيةً .

حملت أوراقى وغادرت ، أنا أعرف مسبقًا مدى عناد هذه المرأة .

8

الرعب الذى ... والرومانسية التى لم

أحكم لى الكوفية حول عنقى ، الجو يزداد برودة بشكل كبير هنا ، سأذهب إلى غرفتى ، ولكن أحتاج أولاً إلى تنفيذ مهمة بسيطة ، أتفحص فى الوجوه من حولى بحثًا عن الشخص المناسب لتنفيذ مهمتى ، وأظن أننى وجدته : رجلاً مهندمًا فى زيه الرسمى ، ويبدو لى مثل قبطان السفينة أو شىء كهذا ، أتوجه إليه :

ـ من فضلك ! أين يمكننى أن أجد كمّاشة أو شيئًا كهذا ؟

ينظر لى بتشكك :

ـ هل تريدين كمّاشة ؟

أجيبه بابتسامة واسعة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ تمامًا كما توقعتَ ، أريد كمّاشة .

يا لعصبيتى منذ الأحداث الأخيرة ! أرجو من الله أن يكون من الغباء بحيث لا يفهم سخريتى ، ولكنه نظر إلى من أعلى لأسفل ، والتفت ، ثم قال :

ـ ليس لدى .

نقرت على كتفه بمنتهى الهدوء :

ـ ولكن أنا لم أسألك إن كانت لديك أم لا ، أنا سألتك : أين يمكننى أن أجدها ؟

ـ لا أعلم .

ـ عفوًا ، ما معنى « لا تعلم » هذه ؟ ألست أنت قبطان هذه السفينة ؟ أسأل من إذًا ؟

ـ ومادمتِ تعرفين أننى قبطان السفينة فهل تعرفين أن لى سلطة مطلقة هنا ؟

ـ هل هذا تهديد ؟ هل تهددنى ؟

يتدخل أولاد الحلال للتهدئة ، ألمح من بينهم بعض رفاق المسابقة مما يدعونى للتوقف ، ولكن بعد ماذا ! أنا وصلتُ بالفعل إلى نقطة اللاعودة ، ظللتُ أثرثر :

ـ أرأيتم ؟ أرأيتم ؟ أسأله عن كماشة فيهددنى !

ومن أجل إخراسى قال أحدهم :

ـ جرّبى عند قسم الصيانة .

ـ رائع ، شكرًا لك .

ولم أنسَ قبل أن أغادر أن أحصل على الكلمة الأخيرة ، فوجهتها للقبطان :

ـ أرأيت كيف حل المشكلة بكلمة ؟!

وبالطبع سيكون على أن أبحث وحدى عن قسم الصيانة ، فسؤال آخر سيتسبب فى اجتزاز عنقى بالقلادة دون الحاجة إلى كماشة .

~

Looloo
www.dvd4arab.com

أحمل الكماشة وأتجه إلى غرفتى ، تصادفنى (رجاء) .. أتطلع إليها بفضول لا نهائى .. كعادتها تتمثّل كأن لم ترنى .. يؤسفنى أن أعترف أن حرفيتها بالكتابة تجعلها أكثر من أخشاه فى هذه المسابقة ، ولكنها حرفية بلا روح ، فهل يطمئن هذا ؟ أستجمع شجاعتى وأقدم على هذه الخطوة :

ــ مرحبًا (رجاء) ! كيف حالك ؟ ألا تذكرينني ؟

ترتبك قليلاً :

ــ عفوًا ، لستُ منتبهة .

ــ أنا (ليلى) ، معك فى كليــة الإعــلام التقينا سابقًا فى الكليــة .

تتمثل التذكر :

ــ آآه ، أتذكرك ، كيف حالك ؟

ــ من الجميل أن ألتقى زميلة كلية واحدة هنا .. كيف حال المسابقة معك ؟

ــ الحمدلله .

ــ هل حصلتِ على قصتك ؟

ــ الحمدلله .

تبًّا لها ! هى لا تنوى أن تمنحنى أكثر من (الحمدلله) .. ألقى بسـلّة (اللــف والدوران) إلى جانــب ، وأتنــاول سـلّة (الصراحة) :

ــ اسمعى يا (رجاء) ، ما رأيك أن نتبادل سرًّا ، أنا سأخبرك عن الفكرة التى أكتبها بكل صدق ، وأنتِ أخبرينى عن فكرتك .. ما رأيك ؟

ــ ولماذا ؟

ــ هل تمزحين يا (رجاء) ؟! أتعنين أنكِ لستِ راغبة بمعرفة فيمَ تفكر منافستك فى كل مسابقات الكلية ؟

تخفض رأسها للأرض :

ــ حسنًا .. ابدئى أنتِ .

ــ حسنًا .. سأصنع قصة موازية لــ (التيتانيك) حيث مجموعة من الرفاق فى رحلة على الباخرة التى تغرق ليس

Looloo
www.dvd4arab.com

بسبب الجبل الجليدى ، وإنما بسبب وجود مومياء كاهنة فرعونية على متنها .

تزفر فى ارتياح :

ــ هكذا فقط ؟

يشعرنى ارتياحها بعدم الارتياح ، أستدرك :

ــ لا ، لا ، نسيت أن أخبرك أن هذه الكاهنة الشريرة كانت وديعة حين كانت طفلة ، كما أنها أحبت (بورخف) من كل قلبها .

لا يبدو أنها غيّرت رأيها :

ــ أما أنا فقصتى عن مجموعة من الأصدقاء يسخرون من أسطورة عيد الهالوين ، فيقررون أن يستأجروا يختًا ليحتفلوا به فى قلب المحيط مصارعين الأمواج والعواصف ومرتدين أقنعة الوحوش ومقيمين كل الطقوس المرعبة ، وتخيلى ما قد يحدث لهم حين ترى الأرواح العائدة إلى الأرض فى هذا اليوم سخريتهم ، وتنفرد بهم فى عرض البحر !

واو ! هذا جدير بزحزحة ثقتى بنفسى إلى الأبد . هذه صفقة كاملة ، تدير كل منّا وجهها فجأة وتمضى فى طريقها . أدلف إلى غرفتى ، ألقى بالأوراق على الفراش ، وألقى بكلام العجوز فى صفيحة القمامة : أنا سأتخلص من هذه القلادة .

أقف أمام المرآة فأبرز الكمّاشة بيدى ، أفتح فكيها وأقبض بهما على العقد ، ثم أضغط بعنف ، أستجمع كل قواى ، أعتصر قبضتى ، أجز على أسنانى ، لا شىء !

أثنى ركبتى على الأرض ، أسند الماسة إلى خشب التسريحة ، وأرفع الكمّاشة بيدى فأهوى بها فوق الماسة مغمضةً عينى ومشيحة بوجهى تفاديًا للشظايا .. لكن لا شظايا ، لا تحطم ، لا شىء !

أضم معطفى وأخرج كالسهم . أريد أن أسير ، ولا شىء غير السير ، أريد أن أصل إلى أبعد نقطة على السفينة دون أن أفكر فى أى شىء ، يتقدمنى فتى يجذب فتاته من يدها ويمدان الخطا نحو الأمام ، فتاة لها نفس ثوبى الأسود ، تلتفت (مايا) ، وتغمز بعينها :

ــ شكرًا على ... « ما تعرفين » .

Looloo
www.dvd4arab.com

أبتسم وأومئ بهدوء . يخرجانى للحظة مما أنا فيه فأتمنى لهما أمنيات حلوة قبل أن أعود إلى تجهمى . يقشعر بدنى لرياح عنيفة قادمة ، أضمم معطفى جدًا ، أتمنى فى قلبى ألا يسوء الجو أكثر . تُبطئ خطوتى مع عدم وجود هدف للسير .. لماذا لا أضع لى هدفًا ؟ مثلاً لماذا لا أسبق ذاك الطفل الذى يركض بالأمام ؟ همم .. هو هدف جيد ، لكن ما الهدف منه ؟ أظن أننى بدأت أخرف .

هاه ؟ ماذا أرى على البعد ؟ هل هذه (مايا) التى يساعدها (سمير) على الصعود إلى رأس السفينة ؟ أفى هذا الجو يا (سمير) ؟ فى هذا الوقت من الليل ؟ أعتقد أن هذا هدف جيد .. بدأت أركض باتجاههما ، بينما أصيح :

ـ (مايا) ! (سمير) ! هذا خطر ! انزلا !

فلا يلتفتان حتى يقفا تمامًا على الحافة ، ويرتفعا سُلّمة من سور السفينة ، أقترب أكثر وأصرخ :

ـ ليس وقت الرومانسية يا مجانين ! أرجوكما أن تنزلا .

تبسط (مايا) يديها إلى الجانبين ، ومن خلفها (سمير) يضمها فيما تهتف دون أن تلتفت لى :

ـ إن هذا راااائع يا (ليلى) ، يجب أن تجرّبيه .

يصيح (سمير) :

ـ نعم يا (ليلى) ، يجب أن تجربيه مع (نائل) .

أبدأ فى الانهيار :

ـ أنا أعرف أن الأمر ليس هينًا ، ليس لعبة يا (سمير) ، أرجوكما ، أرجوكما ، ثقا بى وانزلا حالاً .

تبدو الجدية على وجه (سمير) :

ـ حسنًا يا (ليلى) ، حسنًا ، اهدئى ، سننزل ، لكن فقط أخبرينى ننزل من أى اتجاه !

ثم ينفجر ضاحكًا هو و (مايا) والحضور ..

ـ ضربة موفقة يا (سمير) ! فقط أرجوك ... أرجوك ... أرجوك ...

أسقط على الأرض باكية .. ولا أسمع غير صوت الرياح والـ « هاهاها » تتردد ألف مرة ، أصل وألف نسخة .. تتردد حتى بعد انتهاء الضحكة ، وحتى بعد انتهاء صاحبها .

~

Looloo
www.dvd4arab.com

أتلفح بالكوفية ويدى بجيب معطفى .. وأرمق المحاولات البائسة : فريق إنقاذ ، قوارب ، شرطة ، تحقيقات ، شهود ، وهناك فريق إسعاف أيضًا لكنهم لا يجدون ما يعملونه ؛ لأنه لا جثث .

يقول الضابط :

ــ ماذا كان آخر ما قال الفتى ؟

ــ آخر ما صدر عنه كان ضحكًا ..

ألمح ارتجافة خد الضابط قبل أن يسأل :

ــ وما كان آخر تعبير على وجهه ؟

أستشعر فى سؤاله فضولاً إنسانيًا لا يمت للتحقيق بصلة :

ــ كان تعبيره الأخير مزدوجًا ، فبدت نظرة فزع بعينه ، فيما شفاهه كانت لازالت تضحك .

أومأ الضابط بارتباك ، ثم ابتعـد . اقترب (نائل) ووقف جوارى فى صمت ، أكمل :

ــ وهى النظرة التى ستزور كوابيسى القادمة .

رفع (نائل) بصره إلى لحظة ، ثم أخفض رأسه للأرض :

ــ صدق حدسك !

رددت بضحكة خفية :

ــ أنت لم ترَ شيئًا بعد !

ــ لا تكونى شديدة التشاؤم .. هما كانا مستهتران وصغيرا الســن .

ــ وعاشقان .. ووحده مبرر كاف للموت .

ــ ومنذ متى كان العشق مبررًا للموت ؟

ــ منذ استُبيح دمنا على هذه السفينة .. هل تعرف شيئًا ؟ أنا لا أستبعد أن تكون المنسقة تعمل لحساب تلك الكاهنة !

ــ أى كاهنة .. ما الذى تعرفينه ولا أعرفه يا (ليلى) ؟

ــ ما لن أقوله ، ولكن هل تعرف فيم أفكر ؟ فى الحلم .. الآن أعرف لماذا ستخطئ أمى جثتى .. لأن (مايا) ترتدى فستانى ، وهذا يتطلب بالضرورة أن أكون غارقة مثلها .

يلتفت لينظر فى عينى .. يفتح فمه دون أن يقول شيئًا ، وأخيرًا يتحدث :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا أجد ما أقول ... لكنى مع هذا سأظل أقول أى شىء ..

أبتسم فى وهن :

ــ شكرًا لك يا (نائل) .

أتركهم وأتجه إلى غرفتى ، لا أحتاج شيئًا قدر النوم .

~

ممددة على ظهرى بلا حيلة ، بينما قوة خفية تطبق على عنقى فتخنقنى .. أريد أن أحرك يدى لأمنعها ، أو أفتح عينى لأبصرها ، أو أفرج شفاهى لأتلو صلواتى ، لكنى لا أقدر أبدًا .

هل هى القلادة .. أم هو الجاثوم .. أم أنه ملك الموت ؟

9

القلب الذى ... والدقات التى لم

يتملكنى الذعر ، هل هكذا يبدو الموت ؟! لم أحصل على لحظة وداع ! أسمع بيانًا يُذاع بضرورة اجتماع فريق المسابقة ، أقول فى ذاتى : إن الميزة الوحيدة للموت الآن هو عدم الاجتماع بهؤلاء الأوغاد مرة ثانية ، أسمع العاملة تطرق الباب وتصيح من خلفه :

ــ استيقظوا رجاءً ، هناك اجتماع عاجل لأفراد المسابقة .

أحدثها فى خاطرى .. لماذا لا تدخلين فتوقظينى بنفسك ؟.. لماذا لا يهزّنى أحدهم أو يسمع صراخى ؟.. أهز جسدى بكل طاقتى .. أستمر فى الصراخ .. أستمر فى هزّه .. يدى ، رجلى ، رأسى ، أى شىء .. أى شىء ...

أنتفض جالسة وقد تحررت الصرخة ، تدخل العاملة :

ــ خيرًا هل من شىء ؟

ألتقط أنفاسى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا عليكِ ، أنا بخير ، كم الساعة الآن ؟

ــ السابعة صباحًا ، وهناك اجتماع عاجــ ...

ــ نعم ، سمعت .

أقوم فأستعد سريعًا ، ثم أصعد إلى السطح ، أدير رقم أمى عدة مرات ، لكن الأحوال الجوية تعوق الاتصال ، أقيس بجسدى شدة البرد وحدة الرياح وأتفحص فى السماء عن أية نية مضمرة .. أكتفى بهذا ، وأتجه إلى قاعة الاجتماعات .

أتخذ مقعدى جوار (أحلام) التى تبدو بحال مزرية ، ترفع وجهها إلى وتردد :

ــ أنا لا أصدّق ما حدث ! لا أصدّق !

أكتفى بأن أربّت على ظهرها . يتوافد الرفاق بوجوه ناعسة .. يتخذ (إلهامى) مقعدًا جوارى :

ــ كم أحسدك !

ــ أنا ؟! لِمَ ؟

ــ حضرتِ اللحظة الأخيرة لــ (مايا) و (سمير) .. أتصور لو أنى مكانكِ لحصلت على أكثــر الصــور تشويقًا بالرحلة وبسيرتى المهنية وبمهنة التصوير على الإطلاق .

نظرت إليه بعمق :

ــ أتعرف يا (إلهامى) ، لو أنك مكانى لما أفدت من تلك الصور على الإطلاق .

ــ لِمَ ؟

ــ لأن التصوير ليس محض التقاط الصورة ، وإنما المصور يمنح اللحظة من روحه ووجدانه فتتضح تلك الروح فى الصورة ، أما أنت ، فروحك أنانية وبلا قلب .

تبدت الصدمة على وجهه قبل أن يلتفت للحديث إلى جاره على الجانب الآخر . حضر (نائل) متأخرًا فجلس فى المكان المتاح بعيدًا ، ثم حضرت المنسقة فألقت التحية واتخذت مقعدها على رأس المائدة ، توقفت الثرثرات الجانبية واتجهنا ببصرنا نحوها ، قالت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ اليوم هو الثالث لنا على متن هذه السفينة .. انتهى الأمس بحادث مؤسف لاثنين من زملائكم ، ولا شك أنه ترك أثرًا فى نفوسنا جميعًا ، واجتماعنا اليوم من أجل تقرير إن كان هذا الحادث يجب أن يؤثر على المسابقة أم لا .. أريد منكم التصويت بـ « نعم » أو « لا » على استمرار المسابقة .

ماكرون .. يعرفون أن أحدًا لن يفرّط فى حلمه بالمجد الأدبى والمادى لأن حادثًا وقع .. يريدون أن ينتزعوا ما يريدونه هم من أفواهنا نحن .. وبالفعل ، الجميع رفع يده للتصويت بـ « نعم » فيما عداى أنا و (نائل) ، ولعله جاملنى لا أكثر . مالت على (أحلام) وقالت بابتسامة شاحبة :

ــ (نائل) لم يرفع يده ، هاه !

ــ ثم ... ؟

أغيّر الموضوع ، وأتجه بحديثى للمنسقة :

ــ لدى اقتراح من فضلك .

ــ تفضلى .

ــ إذا كان الجميع اتفق على استمرار المسابقة فلتستمر ، لكن لماذا لا نذهب إلى مكان أكثر أمانًا .. نحن فى عرض البحر والرياح عنيفة والجو يزداد سوءًا وأنتِ رأيتِ بنفسك ما قد يسببه هذا ، لنذهب إلى أى مكان بالعالم المهم أن تكون هناك أرضٌ تحت أقدامنا .. ماذا تقولين ؟

ــ هذا ينافى طبيعة المسابقة البحرية والقصة عن البحر ، وما أدراك أن الخطر ليس جزءًا من المسابقة ، ولكن على أية حال سأرفع اقتراحك إلى المسئولين فى (القاهرة) ونرى ما يقولون .. بقى شىء أخير ... أريد منكم التزام السرية بخصوص ما وقع لـ (سمير) و (مايا) مع أى شخص خارج إطار مجتمعنا الصغير : السفينة ، فإن استخدمتم الهاتف أو الإنترنت لا تخبروا أحدًا بشأنهم وخاصة : أسرتيهما . وبالتأكيد هذه تعليمات المسئولين ومن يخالفها سيتعرض للإقصاء . شكرًا لكم .

ثم قامت وغادرت . هممت بالقيام ، ولكن (إلهامى) أجلس الجميع بإشارات يده :

ــ لحظة يا رفاق ، ما رأيكم بحفل صغير هذه الليلة ؟

www.dvd4arab.com

وجدتُ أن هذا لا يطاق :

ــ فكرة جميلة ، ولكن هل ستكون قبل أم بعد صلاة الغائب على الموتى ؟

وقمتُ مغادرة .

~

قصدتُ الكافيتيريا بحثًا عن العجوز ، ولكن يبدو أن الوقت مبكر ولم يصح أحد بعد .. لحق بى (نائل) :

ــ مهلاً (ليلى) ، كيفكِ اليوم ؟ ألازلتِ قلقة ؟

ــ لا عليك يا (نائل) لعل الله يستر ، أنت كيفك وكيف قصتك ؟

ــ أحداث الأمس ألهمتنى فكرة .. شيئًا عن عودة أشباح الغرقى للانتقام من المتسببين بغرقهم ، وماذا عن قصتكِ ؟

ولكنها من الطراز المبكّر بالتأكيد : ها هى (روزيت) ، أقف أتحدث لـــ (نائل) بينما أنظر إليها :

ــ كنتُ عثرت على فكرة ولكننى لن أعمل عليها أكثر من هذا ، سأمحو ما كتبت وأبدأ من جديد ، ولكن يجب أن أخبر صاحبة القصة أولاً .

ــ تلك السيدة ، هاه ؟ حسنًا أنا أثق بكِ وأعرف أنك تفعلين الصواب .

تركنى (نائل) فاتجهت إلى مائدتها ، فما إن رأتنى حتى أشرقت :

ــ مرحى ! جئتِ فى وقتك .. كنت أشعر أنها لحظة تجلى ... هل تريدين أن تعرفى ماذا فعل والدى ؟

ــ نعم ، أريد . ولكنى أريد كذلك أن أكون واضحة أن هذا لا يعنى أنى أقبل أن أكتب قصتك .

ــ ماذا ؟ ألم نتحدث عن هذا من قبل ؟

نعم ، ولكن هذا قبل أن يصبح هناك موتى .

ــ وما دخل قصتى بالموتى ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنا أعرف أن ثمة علاقة .. أعرف أن هناك منظومة تربط بينكِ وبين كاهنة التيتانيك والقلادة التى لا تفارق عنقى وكادت تخنقنى صباحًا والقصة التى تريدين منى أن أكتبها وغرق (التيتانيك) وغرق (مايا) و (سمير) وغرق هذه السفينة بعد مدة قد تقصر أو تطول ، وأنا لن أتورط فى دم الموتى .

تُرجِع رأسها للوراء وتزفر :

ـ ظنون مشروعة يا حفيدة الفراعنة .. ولكن دعينى أخبرك أنك ما لم تتورطى فى دماء الموتى فلن تتورطى فى المليون جنيه .

ـ أنا لا أهتم بالمليون جنيه .

تقول بنفاذ صبر :

ـ وأنا مللت محايلتك ، فلا تضطرينى لاستخدام الوجه الآخر .

مررت بلحظة صمت أدرس فيها احتمالات هذا الوجه الآخر .. أنا أعرف أنها قادرة .. أعرف أن مقاومتى لن تستطيع إثناءها ، ولكن السؤال : إلى متى تعطلها ؟ قلت :

ـ لماذا لا تتصرفين كامرأة متحضرة وتعمدين بكتابة قصتك إلى آخر ؟

ـ لأنه لم يعد لدى وقت .

ـ كم بقى لكِ ؟

ـ بما يكفى لأن تكتبيها أنتِ .

مررت بلحظة أخرى من الصمت ثم قلت :

ـ لدى شعور قوى أنك تريدين قتلى ، فهل ستقتلينني ؟

قالت بثبات شديد :

ـ أجل ، إذا أصررت على عدم الكتابة .

فيض جديتها أصابنى بهيستيريا ضحك ، وجدت أنى أنفجر فى الضحك وأقول :

ـ لا ، لا ، أنتِ أسأتِ فهمى .. أنا لا أسأل عن حال عدم الكتابة ، بل فى حال إتمامها .

لاح لى خاطر غريب بينما أضحك وأرقب انفعالات العجوز : لماذا لا أقتلها .. لازلت أضحك ، ولكن بجد ، بجد : لماذا

Looloo
www.dvd4arab.com

لا أقتلها ؟ لاح الغضب كأبدى ما يكون على وجه (روزيت) .. وضعت يدها على صدرها وأرجعت رأسها للوراء ، صارت تضغط أكثر على الصدر فينتفض جسدها فيما بدا لى أنها تنازع نوبة قلبية ما .. توقفت عن كل الضحك وهبت واقفة .. فتحت فمى أريد أن أصرخ : « كوب ماء ! طبيب ! » .. ولكن كيف ؟ لماذا لا أتركها تموت وكفى ؟ تتسع عينى أرقب نزاعها ، رجفتها الأخيرة ، غمضة عينها .. أتلفت حولى : « هل من شاهد ؟ » ، « لا ؟ » ، « شكرًا لكم » . أنسحب عن المائدة وأسير فى هدوء .

لا أسمع شيئًا سوى دبيب قدم ، ودقات قلب .. تعلو الدقات بصدرى .. تعلو رويدًا رويدًا حتى تصم أذنى .. وما يثير رعبى أن تلك الدقات بصدرى ليست دقـات قلبى ! أقبض على القلادة فى فزع .. أستشعر نبضاتها بين أصابعى ، يمكننى أن أحصيها : واحد ، اثنان ، ثلاثة .. حادة ، نافرة ، ساخطة .. تتسع عينى ويسقط فمى .. ألتفت إلى المرأة الهامدة من خلفى ... أسمع قولها إلى (بورخف) : « سأبثها أنفاسى وروحى ونبض قلبى إلى أن تصير بعضى » .. أحد عشر ، اثنا عشر ، ثلاثة عشر .. عنيفة ، صاخبة ، ثاقبة ، تخترق صدرى ، تمتد ألمًا يعتصر قلبى .. تخذلنى قدمى .. أسقط ، أضغط بيدى على قلبى ، فينتفض

جسدى فيما بدا أنه نوبة قلبية ما .. أفتح فمى أريد أن أصرخ : « كوب ماء ! طبيب ! » ولكن كيف ؟ لماذا لا يتركونى أموت وكفى ؟ ألتفـت حولى : « هل مـن شاهد ؟ » ، « لا ؟ » ، « سحقًا لكم ! » .

أتحامل على نفسى فأزحف حتى موضع العجوز ، أهزّها بكل استطاعتى .. أجرها من قدمها إلى الأرض جوارى ، تحدث جلبة علّها تفيق أولئك الموتى .. ألطمها على خدها ، أهزها من عنقها ، أضغط أسفل منتصف صدرها .. يأتى النادل على عجل .. يتجمد لحظة قبل أن يهتف لرفاقه : « استدعوا الطبيب بسرعة » .. أسقط رأسى على جسدها : لم يعد بإمكانى احتمال الحياة .

~

لازلتُ راغبةً فى النوم ، ولكنى سأفتح عينى من باب الفضول : أنا فى فراش غريب ، والفراش المجاور يحمل عجوزًا محدّقة بى .. أجفل للحظة فتضحك :

ــ منذ الآن فصاعدًا ، يجب أن تكونى أنت أحرص الناس على حياتى .

Looloo
www.dvd4arab.com

أتحسس القلادة النابضة بعنقى : لم تعد نابضة . أومئ فى تفهم ، أقول :

ــ أكنتِ تغامرين بحبس روحك فى قلادة إلى الأبد ، لو لم يسعفكِ أحدهم ؟

ــ أنا أعرف ما أفعل ، هذه قرصة أذن لا أكثر .

تزفر :

ــ برغم أنكِ أفسدتِ لى لحظة التجلى ، ولكن .. ما رأيكِ بحكاية ما قبل النوم ؟

لا تنتظر رأيى ، تعتدل فى نومتها فتستلقى على ظهرها وتنظر للسقف :

ــ حين تقابلين حبيبك سرًا ، كم نظرة إلى وجهك تكفى ليفتضح أمرك ؟

10

المرأة التى ... والقدر الذى لم

فى تلك الليلة ، حين فتحت الباب ودلفت ، كانت الأمور واضحة ، لم يكن أحدٌ بحاجة ليسأل :

ــ أين كنتِ يا (آمين رع) ؟

تصلّبتُ .. داريتُ (بورخف) داخلى بعيدًا عن نظر أبى الذى هب واقفًا وصرخ بصوت رج المكان :

ــ هل كنتِ مع (بورخف) ؟

التزمتُ الصمت .. جاءت أمى وآثار نومها على وجهها :

ــ ما الأمر ؟! ماذا حدث ؟

دفعها أبى من حيث أتت دفعة أسقطتها وأرجفت قلبى :

ــ أغلقى الباب خلفك ، ودعينى مع ابنتى .

أردت أن أجرى إلى أمى ولكن ساقاى ترتعشان ، يقطع أبى خطوات فى الصالة أمامى بينما ينظر للأرض .. يقترب منى

www.dvd4arab.com

فأقول : « سيقتلنى » ، يبتعد فأقول : « نجوت » ، يعيد ، فأعيد . حتى تحدّث أخيرًا بصوتٍ له وقعٌ أليم :

ــ أنا أفنيت عمرى عليك ، ليس لى غيرك ، لم أشأ أن أنجب غيرك كى لا يستحوذ أخ لكِ على جزء ولو يسيرًا من قلبى .. أنا الذى يهتز له أرجاء المعبد ، يبجله كل حجر فى (طيبة) ، ينحنى له كل من يراه ، أصدقاؤه ، أعداؤه ، وحتى (أمنحتب الثالث) يعمل له ألف حساب . أنا : لم أجرؤ مرة أن أرفع إصبعًا بوجهك .. أنتِ : نقطة ضعفى الوحيدة .. حياتى تقف مع أول دمعة من عينك ، أو آهة ألم ، أو طلب لكِ حتى يُلبّى .. هل أستحق منكِ هــذا ؟

هل أستحق أن تضيعى منى ابنتى ومستقبلها ومكانتها ، وتصبّى العار على رأسها ورأسى وتصيبيها بالخذى فى كل خطوة فوق هذه الأرض ؟

أن تحطّى مكانتها وتشمّتى بها الخاصة والعامة فتضحكيهم على الكاهنة التى تزوجت أجيرًا وتردّت من خدمة (آمون) بعدما كانت حظية الإله ؟

أن تغضبى عليها (آمون) العظيم فتحل لعنته فى هذه الحياة ، ثم يمنعها من العبور والخلود بعد الموت ؟

توقف أبى أمامى .. نظر فى عينى لحظة نظرة تكتم دمعة ، ثم إنه انحنى وجلس على الأرض ممسكًا بيدى ، وأطلق العنان لدموعه :

ــ أنتِ قرّة عينى .. أتوسل إليكِ يا ابنتى ألاّ تضيعى منى .. أتوسل إليكِ .

ألجمنى الذهول .. هذا الصنم الذى ينحنى له الجميع ، ينحنى لى أنا ! ارتج شىء داخلى ، أردت أن أقول : لا يا أبى أنت لا تنحنى أبدًا ، أنت دومًا مهيب يا أبى .. دومًا مهيب .. لكنى لم أقل شيئًا . انحنيت أقيمه وأجلسه على مقعد :

ــ لن أخذلك ثانيةً يا أبى ، أعدك ، لن أراه ثانيةً .

وقع بصر أبى على القلادة :

ــ وما هذه ؟

ــ إنها .... (قلب المحيط) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل هذه منه ؟ احذريه يا ابنتى فإن مثله كالمحيط .. إذا أحب امرأة أغرقها .

~

ـ وهل التزمتِ بالوعد ؟

ـ ربطت حجرًا على قلبى وألقيت به فى النهر ..

~

ستة أشهر لم أذهب إلى الغابة ولا مرة ، وستة أشهر أقرر أن أخلع القلادة عن عنقى كل صباح ، ثم أرجئها للغد . اهتممت بعملى ، وارتقيت فيه حتى أصبح لى أن أدخل قدس الأقداس وأتشرف بلقاء (آمون) العظيم وأساعد فى طقوسه الصباحية : إفاقته من سباته الليلى ، دعوته للتجسد بتمثاله ، تقديم القرابين ، غسل التمثال ، إلباسه الثياب ، تزيينه بالجواهر ، تبخيره ، ترتيل الأناشيد ، ثم إخراجه إلى العامة ليعبدوه ويستشيروه فى أمورهم .

أنضجنى الزمن ، والعمل ، ومشكلاته .. وكنّا نواجه ما يكفى منها بالفعل .. فالفرعون (أمنحتب الرابع) الذى تنصّب حديثًا

لا يبدو أنه يعرف كيف يبجّل ملك الآلهة (آمون) ، ويفضّل عليه إلهًا جديدًا اخترعه وأسماه (آتون) .. ولكن مهما يكن أنا والكهنة كفيلون به .

أنهيتُ عملى بالمعبد ، أدخلت (آمون) إلى تابوته وتمنيت له نومًا هنيئًا ، شمّعت التابوت بالطين ، وخرجت .. فى كل خطوة كأن شيئًا يحدثنى أنها ليست ككل ليلة .. شيئًا كالذى كان يخبرنى عن قدوم (بورخف) .. تحثنى قدمى على الذهاب إلى الغابة ولكنى أجرها جرًّا للبيت .. ثمة أشياء مقضية : أبى ، والوعد .

لكن ثمة همسة من خلف ظهرى أبدلت حساباتى رأسًا على عقب :

ـ (آمين) !

تصلّبتُ .. لم تطاوعنى قدماى لمتابعة السير ، ولم أطاوعهما للالتفاف للخلف .. فبقينا هكذا .. تقدّم (بورخف) واستدار ليقف بمواجهتى ..

ـ (آمين) ... ما بكِ ؟ لم أجدك بالغابة فخشيت عليكِ .. هل أنتِ مريضة أو بكِ شىء ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ارتسم أمام وجهى أبى الجالس باكيًا ممسكًا بيدى ، ابتلعت ريقى :

ــ وهل يجب أن أمرض لأخلص منك ؟

انعكست الكلمة ذهولاً على وجهه :

ــ (آمين) .. ماذا تقولين ؟

ــ ما سمعت . أنا أسعى للخلاص منك ، فافسح الطريق ودعنى أمر .

لا يتزحزح ، ينقل نظرته الذاهلة بينى وبين القلادة على عنقى .. يفتح فمه ليقول شيئًا لكنه لا يقوله .. أنا أعرف ما يريد قوله : يريد أن يقول هذه القلادة تشهد علينا ، يقول أنتِ ربّيتها من أجلى .. يقول بيننا وعد ، يقول أنتِ تذكرين الوعد مادمتِ ترتدينها .. يتساءل فى داخله ألف مرة : « لماذا » ، ويشير إلى قلادتى ويقول :

ــ (قلب المحيط) ...

أخفض رأسى ، أرفع طرف عينى إليه وأجيب :

ــ لأن مثلك كالمحيط .. إذا أحب امرأة أغرقها .

أتخطاه ، وأتقدم فى سيرى بينما أقول باقتضاب :

ــ اعتبر ما بيننا انتهى .

يتبعنى ، يعتصر ذراعى ويستوقفنى :

ــ انتهى ؟ متى انتهى يا (آمين) .. أنهيته بغيابى .. محوتنى من حياتك ولمّا تخبرينى .. هكذا .. بكل بساطة ، دون كلمة وداع ، أو تلويح بالأيدى ، أو دمعة عين ...

يهتز فى ضحكة مكتومة :

ــ تهانى يا (آمين) ، لقد نجحت بـ « الوداع المثالى » ... تذكرين عناقنا الأخير يا (آمين) ؟

يدع ذراعى وينظر للأرض :

ــ لم أظن أنه سيكون الأخير ... ستة أشهر لا أفكر إلا بك ، لا أحلم إلا بك ، إذا نظرتُ فى المرآة رأيتك ... إذا حدثنى صديق

Looloo www.dvd4arab.com

حدثتــه عنــك ، وإذا حدثتنى امــرأة ناديتها باسمك .. أقتات على لياليـنـا الـسـابقة وأمنّى نفسى بليـلـة جـديدة بحضـنـك ولو بعـد ستة أشهر فيما أنت تعمدين إلى اجتثـاثى مـن حياتك بلا أى تـردد .. ليس عهـدى بك الخيـانة يا (آميـن) .. متى تعلمتها ؟

أستدير ، أخفى وجهى بكفى ، وأجهش بالبكاء . لا أقول شيئًا .. ماذا أقول .. لا يعرف شيئًا عن مدى اشتياقى له .. يقول :

ــ كل ما أطلبه ليلة محو أخيرة يا (آمين) .. مرة أخيرة أملى عينى قبل أن أغمضها عنك إلى الأبد ..

ــ لا أستطيع ، وعدتُ أبى ، لا أستطيع .

يفيض حماسًا :

ــ ليس أكثر من ليلة يا (آمين) ، أعدك ، لن أحاول أبدًا أن أثنيك عن قرارك ، لن أقل كلمة تقلل من عزيمتك .. لن أتحدث لحظة عن مشاعرى ، لن ألمسك .. سأتحدث عن الطقس أو الأطفال أو أشجار الأرز فى (فينيقيا) .. أو ....

يطلق زفيرًا .. يدع جملته ، يلتفت لينظر فى عينى :

ــ أنت تدينين لى بليلة وداع يا (آمين) .. ليست كثيرة على من أحب بقدرى ، وليست كثيرة على من أحب (آمين رع) .

~

ــ وقبلت ؟

ــ هات لى وحشًا كاسرًا يمكنه أن يرفض .

~

فرش (بورخف) وشاحه على صخرة بالغابة وأجلسنى ، ثم جلس عند قدمى ينظر لى .. مرات هم أن ينطق لكنه فى كل مرة يبتلع كلماته .. قال :

ــ أتعرفى .. لى عنزة بالصحراء أنجبت طفلاً ..

أومأتُ مُطرقةً :

ــ همم ..

أضاف :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ شكله جميل ، ولكن يجب أن تريه وهو يحاول السير فترتج ساقاه ويسقط .. ستسقطين من الضحك ولا شك !

أزيح عضلات خدى لأعلى فى محاولة بائسة للابتسام ، وعن الدموع : قطارات محمومة السرعة وكثيرة الاصطدام ، أهتف :

ـ إيّاك أن تغضب منى يا (بورخف) .

هب على ركبتيه ، وحاوط بيديه الهواء حول كتفى :

ـ صدّقينى يا (آمين) أنا لا أشعر بالغضب منك . معكِ لا أشعر إلاّ بك ، وبعدك ... لن أشعر بأى شىء على الإطلاق .

صمتَ للحظة :

ـ أنا لستُ أنانيًا يا (آمين) .. ولكنى حين أحببتك لم تكونى كاهنة .. لم نكن أكثر من طفلين .

ـ كاهنة الدموع والوجع والخراب .. كاهنة الموت كل ليلة ألف ميتة .. كاهنة التشظى كل ميتة ألف شظية ، كاهنة الانسحاق كل شظية ألف رملة .. كاهنة الاحتراق كل رملة ألف شعلة .. كاهنة الانطفاء كل شعلة ألف قطرة .. كاهنة الفراق

أحفظ طقوسه ، ولا يتخلى عنى .. ليتنى ما كنتُ كاهنة ، ليتنا بقينا طفلين .

ـ لو أنى أعلم أنى سأتسبب بهذا لما طلبت لقاك .. أنا لا يسعنى أن أراكِ هكذا .. يجب دومًا أن تكونى بخير .. عدينى أن تكونى بخير .. عدينى أن تعنى بنفسك ..

يسقط رأسى للأرض ويعلو نشيجى .. يحاوط وجهى بكفيه ويرفعه إليه :

ـ عدينى يا (آمين) ..

أومئ محاولة التوقف :

ـ أعدك .. وأنت أيضًا عدنى أن تنتبه لنفسك ..

يحاول تلطيف الجو :

ـ لا تخافى على يا آمين .. ما الذى قد يصيبنى بعدك ؟ أيأخذونك منى ؟

تفشل المحاولتان .. لا أرى أى شىء .. كل العالم ضباب .. و(بورخف) وحده كل العالم .. أردد :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هل من المعقــول فى شىء أن نفترق ؟ هل يوجد إله أو بشر أو حجــر يرحب بافتراقنا ؟ ما الذى اقترفناه ؟

ــ أتعرفين ما يشغلنى أكثر من افتراقنا فى هذه الحياة يا (آمين) .. افتراقنا فى الحياة الأخرى .. لو أنّا نستطيع أن ندفن معًا ، ألم نكن لنبعث معًا مُخلّدين فى الفردوس حيث حقل القصب المبارك ؟ أوليس لهذا يدفنون المرء مع زوجه وخدمه وحليه ؟

يتوقف البكاء فجأة .. أنظر لــ (بورخف) كالمأخوذة ، لاشك أننى و(بورخف) فكرنا فى ذات الأمر فى ذات اللحظة .. غير أنّا لم نُمهَل لنكمل الخطة .. فعندما نظرت ، وجدت أبى بمواجهتى يحمل لى نظرة خديعة لا أنساها ، ومــن خلفه بضعة من جنود المعبد .

~

ــ ماذا فعل ؟

ــ أخذ الدواء .

ــ ماذا ؟

ألتفتُ إلى الممرضة :

ــ أخذ الدواء كى يخف ويصبح طيّبًا !

ثم ابتسمت وأمالت رأسها . هتفتُ :

ــ ما هذا ؟ أترين طفلة أمامك ؟ منذ متى وأنتِ هنا ؟

بُهِتت ، منحتنى الحبــة بيــدى وكــوب المــاء ، ومثلهما لــ (روزيت) .. ثم انصرفت . نظرتُ إلى (روزيت) :

ــ أكملى ..

كانت فى حال سيئة .. ولم تتكلف النظر إلى أو الرد ، وقدّرت أنها لن تحكى أكثر اليوم .. تركتُ الحبة على الكومود ، أزحت الغطاء وغادرت .

Looloo
www.dvd4arab.com

11

الحفلة التى ... والمرح الذى لم

فى الخارج كان النهار على وشك أن ينقضى ، مما يعنى أنى قضيت فترة لا بأس بها خارج الوعى . أما الجو فقد أعلن رسميًا سوء نيته : برودة مريعة ، رياح عنيفة ، وأمواج أبدًا ليست هينة ، أريد أن أتحدث مع القبطان بشكل ضرورى : كيف يشعر حيال الجو ؟!.. هل لديه ما يكفى من قوارب النجاة ؟! هل تلقى أية إنذارات ؟!.. هل يلمح جبلاً جليديًا على البعد ؟!.. يعنى .. أشياء كهذه .. فقط لو أنى لم أُغضبه !

أتخذ مقعدًا فى الكافيتيريا ، وأجلس مع نفسى قليلاً :

ــ الجو متواطئ ، والعجوز أفسدت ورقتى الرابحة إلى الأبد !

دعك من أنى لم آخذ ورقة القتل على محمل الجد من قبل ، لكن هذا لا يمنع أنى حزينة لفقدها .. ماذا أفيد من قتلها ؟ روح الكاهنة فى جسد العجوز ، والجسد ميت من قبل .. ثم إذا أنا قتلتها ستنتقل روحها للقلادة وتوقف قلبى .

ألتقط سبابتى اليمنى بإبهامى الأيسر ، وإبهامى الأيمن بسبابتى اليسرى ، وأقول :

ــ الروح فى القلادة ، والقلادة فى عنقى .. أى ستكون روحها فى عنقى بمعنى الكلمة ! هاهاها !

يمر بى رجل خمسينى رأيته منذ يومين بدا لى كزمن ، أصيح :

ــ ياه ! أيها الرجل العجوز ! كيف حالك ؟

بل كيف حالك أنت ؟.. أراك تكلمين نفسك .. هل حصلت على صديق وهمى أيضًا ؟

ــ لا ، بل ثمة ضيف وهمى فى عنقى .. تفضلا .. تفضلا ..

أشير له إلى كرسى ، وأزيح كرسيًا آخر ، يتخذ مقعده ويسأل :

ــ لمن تزيحين الكرسى ؟

ــ لصديقك الوهمى بالطبع ، أنا أذكر القواعد .

وأشير إلى النادل :

ــ ثلاثة أقداح من الشاى ، من فضلك .

Looloo
www.dvd4arab.com

يصححنى الرجل :

ــ بل اجعليهم اثنين .

ويستدرك :

ــ صديقى الوهمى غرق .

أتململ فى جلستى .. يحزننى أنه غرق .. الليل يحط ، وبدأت أرتجف داخل ثوبى .. و (نائل) غائب .. أين هو ؟

تأتينى (سناء) :

ــ (ليلى) ، ها أنتِ ! كنتُ أبحث عنكِ .

ــ لِمَ ؟

ــ كى آخذكِ للحفل ، كلنا مجتمعين وبانتظارك .

ــ بانتظارى أنا ؟ ومنذ متى هذا الرضا ؟ ثم أنا لن أحتفل وبالأمس فقط توفى زميلان .

ــ لا تكونى سخيفة وتفسدى الحفل ، نحن بحاجة للترويح مع هذا الضغط النفسى ، ثم إن (نائل) هناك .

ــ حقًّا ؟ أصبح الجميع مؤخرًا يحدثوننى عن (نائل) .. هل قال لكِ أحد أنى أبحث عنه ؟

مطت شفاهها بعبارة :

ــ الجميع يقولووون ..

تدخّل الرجل غامزًا :

ــ مادام الجميع يقولون ، هيّا إذًا .. اذهبى معها .

أبسط يدى :

ــ حسنًا ، مادمتم ترون هذا !

يبتسم لى ، ولكنه حين أقف يستوقفنى :

ــ لكن (نائل) هذا ليس وهميًّا ، هاه !

تعجبنى الدعابة ، أقول ضاحكة :

ــ لا ، لا تخف ، لم أصر مجنونة بعـ .....

أوبس ! أبتلع الكلمة ، أسعل من ثم أرحل .

~

Looloo
www.dvd4arab.com

أسير مع (سناء) بينما أقلّب الفكرة فى رأسى ، خطوتين وأستدير لأقف بمواجهتها وأضع يدى على كتفها :

ــ لكن (نائل) ليس وهميًا يا (سناء) ، صح ؟

تجيب بدهشة :

ــ بالتأكيد .

أرفع يدى فى لحظة وأكمل السير :

ــ عظيم ، هيا بنا .

~

أقف على باب القاعة فيصيح الرفاق جميعًا صيحات الترحيب ، وهو الأمر الذى يجعلنى أشك أنى حضرت الحفل الصحيح ، وبمجرد أن أدلف يتوسط (إلهامى) المسرح ويأخذ الميكروفون ويقول :

ــ ها قد اكتمل عددنا ، ووجب أن نبدأ الاحتفال . والفقرة الأولى عندنا هى : « ابحث مع الشرطة » .

أبحث بعينى عن (نائل) ، يتابع (إلهامى) :

ــ أوه .. هـِ .. هـِ .. هـِ .. اا .. ســى .. انظر من يبحث عن ...

أدور بعينى بين الوجوه ، يصيح (إلهامى) :

ــ (نائل) !

تخرق الكلمة أذنى . ألتفت بحدّة إلى (إلهامى) ، يغرق الرفاق بالضحك ، هل أحضرونى هنا ليهزءوا بى ؟

يتقلّد أحدهم صوت فتاة ويصيح :

ــ (نائل) ! أين أنت يا (نائل) ؟

يشاركه آخر :

ــ (نائل) ! لماذا تركتنى وحدى يا (نائل) ؟

ــ (نائل) ! متى ستأتى يا ...

أتلفت بينهم صارخة :

ــ يكفى ! يكفى ! ما أنتم ؟ من غير الممكن أن تكونوا بشرًا ، فضلاً عن أن تكونوا أدباء .

يقول (إلهامى) :

Looloo www.dvd4arab.com

ــ هل أنت عصبية لأن (نائل) غير موجود ؟ لربما أن (نائل) غير ... مدعو .

ألتفت إلى (سناء) بحدّة :

ــ خدعتنى يا (سناء) .

أتجه مباشرة إلى الباب ، فيصطف اثنان من ضخام الأجساد أمامى ، أرتفع ببصرى إليهم فتبدو نظرة ثابتة بأعينهم . ألتفت فإذا بالرفاق يقتربون من جميع الجهات بخطى وئيدة ونظرة جامدة . أهتف :

ــ ما الأمر ؟ ماذا هناك ؟

ألتفت : ذات الخطوة ، ذات النظرة .. أدور حول نفسى ، أضحك ضحكة مرتبكة لتلطيف الأجواء :

ــ ما لكم يا رفاق ؟ أنتم تخيفوننى ... لماذا تحدّقون بى بهذا الشكل ؟

يصيبنى الدوار ، يصيبنى التعب ، يتهدج صوتى بالبكاء :

ــ ماذا فعلتُ بكم ؟ لماذا تفعلون هذا ؟

أهوى فى مكانى . يتجه بصرى مع أبصارهم جميعًا إلى مصدر الصوت على الباب :

ــ كارثة ! كارثة !

إنه قبطان السفينة ، يتحرك الجميع إليه ، أقف وألحق بهم ، تتعلق نظراتنا جميعًا به :

ــ ثمة جبل جليدى أمامنا سنصطدم به لا محالة ، وستغرق السفينة ما لم ننقص حمولتها ، عليكم الآن أن تختاروا شخصًا منكم لنلقى به فى البحر .

ــ ماذا ؟

أميل على الواقف جوارى :

ــ ماذا قال هذا الرجل ؟ هل سمعته ؟

ــ يقول أن نرمى بواحد منا لننقذ السفينة .

ــ أمتأكد أنك سمعت بشكل جيد ؟

ــ أجــل .

يستدير القبطان لينصرف ، فأصرخ :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أنت ، أيها المجنون ، قف ! ما الذى تقوله ؟

يلتفت لينظر إلى باستعلاء ، ولا يجيب ، أهتف به :

ــ أنا أحدّثك أيها العجوز الخرف ! هل جننت أم أصابتك لوثة فى عقلك أم ماذا ؟ لماذا نلقى ببنى آدم والسفينة مكدّسة بأطنان من الأثاث والأجهزة والحقائب ؟

يتدخل (إلهامى) ليتحدث بشكل متحضر إلى القبطان :

ــ أنا أعتذر لك يا سيدى ، إنها غير مؤهلة للحديث مع الـ « بنى آدم » .. نحن سنتفق على واحد ونبلغك .

أصيح :

ــ (إلهامى) ، هل توافقه ؟

يعود لينظر لى بثبات ، أتلفت :

ــ هل توافقونه جميعًا ؟

تطالعنى ذات النظرة المقيتة ، بينما يحاوطونى :

ــ أين عقولكم ؟ هل يمكن أن تكونوا بهذه القسوة ؟

أهتز فى ربع ضحكة بينما أبكى :

ــ ومن نافلة القول أنكم اخترتم من الذى سترمونه .

تسقط أيديهم فوقى ، أصرخ ، أتفلت ، أدفعهم بكل ما استطعت :

ــ ابتعدوا عنى أيها المجرمون ! لا يمسّنى أحدكم ! دعونى ! دعونى !

يحملونى ويتقدمون بى إلى الخارج ، ولازلت أصرخ :

ــ الحقونى ! انجدونى ! (نائل) ! (نائل) ! ليلحق بى أحد ! لينقذنى أحد !

يصعدون بى إلى السطح ، يرفعونى بين أيديهم ويهمّون أن يقذفوا بى .. أتوقف عن الصراخ ، أنطق بالشهادتين ، أغمض عينى ، آخذ نفسًا عميقًا وأكتمه .

أرتطم بالأرض . أفتح عينى ، أرتفع ببصرى : أجد الرفاق مصطفين ، يتقدمهم قبطان السفينة ، وما إن تلتقى عيناى بأعينهم حتى ينفجروا بالضحك ، ماذا ؟ هل كانت دعابة ؟ أنظر للأرض وأجهش بالبكاء . أسمع دبيبًا من بعيد يعلو حتى يتوقف عندنا .. أسمع (نائل) يتساءل بصوت منفطر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هل هذه (ليلى) ؟

أرى حذاء (إلهامى) يتقدم ، فيتوقف أمام وجهى ، أسمعه يقول :

ــ هذا من أجل أنى أنانى الروح وبلا قلب .

أرى حذاء (نائل) يتقدم فيتوقف جوار حذاء (إلهامى) ، ثم يستدير ليصبح بمواجهته . أسمع وقع ضربة شديدة ، أرى أحذية مختلطة ، أسمع محاولات للفض بينهما ، أستبين منها صوت القبطان يقول :

ــ لا داعى لهذا يا بنى ، كنا نمزح معها لا أكثر .

ــ لا أدرى أى قبطان هذا الذى يلعب مع ركّابه !

ــ ولكنها سليطة اللسان ، ووجبَ تأديبها .

ــ خطأ آخر بحقّها ولن أقيم اعتبارًا لسنّك .

لحظات من الصمت قبل أن يصرخ (نائل) :

ــ لينفض هذا المولد !

ألمح الأحذية تبتعد فيما يضع (نائل) معطفه فوقى ، ينحنى جوارى ، ويحاوطنى بذراعه .

~

أشعر تربيت (نائل) فوق ظهرى ، أتأخر فى رفع رأسى لأستمتع بلمسة أخرى .. أفهم لماذا أسمت الكاهنة تلك الليالى ليالى محو . هذه اللحظة ، أظنها ، لحظة محو .

أرفع رأسى لأنظر إليه ، يتطلع إلى آثار الدموع بعينى :

ــ انظرى ماذا فعلوا بالفتاة الجميلة التى لم تؤذِ أحدًا .

أبتسم :

ــ انظر إلى الفتى الخجول الذى يزجر الأشرار ويضربهم .

ــ لم أدرِ بنفسى حين تعلّق الأمر بكِ .

ــ لكنك دافعت عنى دون أن تعرف ما حدث .

ــ وكنتُ لأدافع عنكِ لو أنكِ التهمتِ عنق أحدهم .

ابتسمت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا أعرف لماذا يضعونى برءوسهم ؟

ــ لأنك لا تمرين بشبكية أحد مرور الكرام .

ــ أى أحد ؟

ــ كل أحد .

ــ وكيف مررت بشبكيتك ؟

ــ علقت بها .

ابتلعت ريقى بصوت مسموع ، وصمتّ . قال (نائل) :

ــ وددتُ لو كنتُ معك ، لكنى لم أذهب لأنهم قالوا (ليلى) لن تكون هناك .

ــ وأنا ذهبت حين قالوا (نائل) سيكون هناك .

ــ يا لهم من أوغاد !

ــ طوال الحفل يتلسنون على : (نائل) ! (نائل) !

ــ لو سمعتها ثانيةً قولى بوجوههم وبعلو الصوت : نعم ، (نائل) يحبّنى .

توقف الزمن ، وأظنه علق عند هذه اللحظة : يحبنى ، يحبنى ، يحبنى ، يحبنى ، يحبنى ، يحبنى ، يحبـ ....

التقطت الكلمة وحملتها على ذراعى ، ها قد وجدتُ من يحمل لى ثقل جسده حبًّا ، بل و« يحبنى » ، أوسدتها فراشى وضممت عليها غطائى ، ثم نمنا معًا .

~

تهزّنى يد أحدهم ، أسرق نظرة إلى صاحب اليد وأغمغم :

ــ دعينى ! لازلتُ راغبة بالنوم .

أتبعها بنظرة متفحصة ، أنتفض جالسة ، وأهتف :

ــ (روزيت) ! كيف دخلتِ هنا ؟

ــ لا وقت للأسئلة الساذجة ، قومى سريعًا لدينا الكثير لننجزه اليوم .

ــ هل تستطيعين عبور الأبواب دون مفاتيح ؟

ــ ها أنتِ تزيدين الأسئلة الساذجة ، أسرعى بالتحرك .. لم يعد لدينا وقت .

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وما حكاية « لا وقت » هذه ؟

ــ اليوم هو اليوم الرابع .

ــ وما معنى هذا ؟

تجرنى جرًا من الفراش :

ــ معناه أن عليكِ أن تستمعى للقصة حالاً .

أغلق باب الحمام خلفى ، وأفكّر : وهل يجب أن نغرق فى اليوم الرابع للانطلاق كـ (التيتانيك) ؟ ليس من الضرورى أن يكون التقليد حرفيًا . أنظر فى ساعتى : ثم إن الوقت جد مبكر وتلك غرقت بعد منتصف الليل ، أحاول أخذ قيلولة صغيرة فتدق (روزيت) الباب تفزعنى . أغسل وجهى وأخرج فأجدها على مقعد جوار الفراش فى حالة وجوم . أقول فى ذاتى بنبرة فخيمة : « ها قد ارتدت ثـوب الحكى » .. أفتح الثلاجة فأضع عبـوة عصير فى يدها وأحصل على واحدة لى مع بعض البسكويت . أضغط زر المسجل ، ثم أتثاءب قائلة :

ــ أنا جاهزة !

تقول دون أن ترفع رأسها عن الأرض :

ــ أبيكِ ، حبيبكِ ، حبيبكِ ، أبيكِ ...

ثم تنظر فى عينى فجأة :

ــ من تختارين ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

12

العاشقة التى ... والموت الذى لم

أمر أبى الجنود فقيّدوا يدى (بورخف) ، ثم اقتادوه أمامهم ، فيما يقتادنى أبى من ذراعى إلى قاعة خلفية بالمعبد . ألقى الجنود بـ (بورخف) فسقط بأحد الأركان ، ترك أبى ذراعى واستدار مشيرًا للجنود بطرف ذقنه ، فغادروا وأغلقوا الباب خلفهم .. خطا أبى نحو الباب فأوصده ، ثم تقدم إلى منتصف القاعة فألقى بعصاه فوق المائدة المستديرة .

أنظر إلى المائدة الخشبية المستديرة بذعر .. أتلفّت بالقاعة وأتمنى فى قلبى ألا تكون القاعة التى لم أدخلها أبدًا فى سنوات عملى بالمعبد ، القاعة التى لم أجرؤ لحظة على الخطو جوارها .. تجحظ عينى إذ تقع على الأدوات الحادة بالركن .. الآن أعرف أنها بالذات تلك القاعة ، أنها « قاعة الذبح » .

هنا تُساق الثيران والماعز فتُذبح من أجل تقديمها كقرابين لـ (آمون) .. ألتفت إلى أبى بذعر ، ما الذى يفكر فيه ؟ يستدير إلى ببطء ، يرمقنى بذات النظرة التى لم تفارق وجهه منذ رآنى ،

نظرة : « أنت الفتاة التى خانت أباها لأجل هذا » ، أو : « أنا الأب الذى خانته ابنته لأجل هذا » ، أو : « هذا الفتى الذى خانتنى ابنتى لأجله » ، أتمنى فى قلبى أن يتكلم ، ليقل ما يقوله لكن يتكلم ، لكنه لا ينطق . يتجه إلى الأدوات بالركن ، يميل ليلتقط منجلاً ، ثم يستدير فينقّل نظره بينى وبين (بورخف) .

يهب (بورخف) واقفًا . تستقر نظرة أبى على . يتجه نحوى حاملاً المنجل ، يتقدم بخطى وئيدة .. أحاول الرجوع للخلف ، لا أعرف ما الذى ينتويه ، لكن أبى لا يقتلنى ، أقنع نفسى أن أبى الذى أحبنى كل هذا الحب لا يقتلنى .. لم يعد هناك فراغ خلفى ، ظهرى للحائط ، أبى أمامى ، والمنجل ... بيدى .

ترك أبى المنجل بيدى وراح ليقف بمحاذاة (بورخف) ، وأخيرًا قال :

ــ عليكِ أن تختارى ذبيحتك .. الذى سيموت سيقدم قربانًا لـ (آمون) العظيم .. والذى سينجو سيخرج سالمًا ، وهؤلاء الجنود بالخارج لم يروا شيئًا ولم يسمعوا شيئًا .

يرتعش المنجل بيدى ، والدموع على خدى .. أحتاج وقتًا حتى أستوعب ما قال .. أحتاج أكثر من عمر .. يصرخ أبى :

www.dvd4arab.com

ــ تقدّمى !

تهتز أوصالى للصرخة ، أدفع ساقى للأمام دفعًا ، ترتعش رعشات للأمام لا أكثر .. أفتح فمى لأقول شيئًا : أبتلع الدموع لا أكثر ، كم وزن هذا المنجل ؟ إنه ثقيل جدًا ، إنه يأخذنى ويهوى .

حين أفقت ، لم يكن هناك (بورخف) ، وكانت هناك ذبيحة ضخمة لــ (آمون) .

~

ــ ماذا تقولين ؟ لا يمكن أن يقتلوا (بورخف) بهذه البساطة !

ــ الحقيقة أن هذه اللحظة من حياتى من اللحظات التى لا يمكن أن تعود الحياة بعدها كما كانت قبلها ، ولا أى تفصيلة صغيرة من الحياة .

~

لن أتحدث عن الليالى التى بت أخبط فيها رأسى بالحائط حتى تنزف الدماء ، لن أحكى عن صراخى بقلب الليل الذى أرجف

أبدان الجيران .. ليس عن الدموع التى صارت كالوسم يعلّمون به وجهى ، ليس عن التراب الذى سفقته حتى ملأ بطنى .. ليس عن حديثى للمارة عن الشاب الجميل الذى أحبنى فذبحوه .. ليس عن الأفاعى التى كم حايلتها لتلدغنى ، ليس عن العُقَد التى كم نفثتُ فيها حقدى حتى بتّ أنا نفسى أخشى سحرى ، ليس عن صلواتى المقيمة لــ (آمون) كى يفعل شيئًا ، ليس عن حسدى لــ (إيزيس) أن استعادت (أوزوريس) ، ليس عن هذيانى الدائم ذى الكلمة الواحدة : (بورخف) ، ليس عن علاقتى بأبى التى انكسرت إلى الأبد ، وليس عن مقتى له الذى لم يشفنى ، بل زادنى وجعًا كلما نظرت إليه بكره فطالعتنى نظرة الحب بعينه .

فقط أتحدث عن (آمون) الذى استوثقت به ، فوجدت عنده ملاذى وأفرغتُ عليه كل طاقتى ، وحبى ، وأملى . استغرق الأمر منى قرابة العام من الجنون قبل أن أعود إلى عملى فى خدمة (آمون) .. وقد شملنى برعايته فأنعم على بحب العامة وتقديرهم .. كنتُ أرى نظرات الإجلال ممزوجة بالإعجاب بأعين الرجال ، والغبطة بأعين النساء .. الأطفال تتمسح بعباءتى ، والأمهات تتمنين لو تصبح بناتهن مثلى ، وحتى العجائز يتبركن بلمسة يدى .

www.dvd4arab.com

رأيتُ أيامًا مجيدة ، ولكن لم تستمر طويلاً ، فعلى مدار الثلاثة أعوام التالية تدهور الوضع من سيئ إلى أسـوأ نتيجة الصراع بين القصر والمعبد . أصبح (أمنحوتب الرابع) يجاهر بكرهه لـ (آمون) فى مقابل إعلانه لتلك البدعة التى ابتدعها بتوحيد الآلهة وإذابتها جميعًا فى إلهه (آتون) ، إلى الحد الذى جعله يتخلى عن اسمه ويطلق على نفسه (إخناتون) ، كما يجهّز لعاصمة جديدة بدلاً عن (طيبة) لينتقل إليها وينقل جميع مرافق البلاد .

الأمر الذى لم يعد من الممكن السكوت عليه ، قررت أن موكب (آمون) هذه المرة لن يمضى بشكل عادى . يجهز الكهنة (آمون) ويهيئونه لموكبه العظيم .. يدفعونه على العربة إلى الخارج .. يلتم العامة من كل حدب وصوب .. ينحنون له ويهتفون باسمه ويبجلونه .. يضربون الدفوف ويقدمون القرابين .. أُصمت الجميع بإشارات من يدى ، أستند بيدى على عربة (آمون) المقدسة ، وأهتف بعلو الصوت :

ــ أيها الناس .. يا عباد (آمون) المخلصين ! ثمة خطر محدّق بإلهكم .. (آمون) .. ملك الآلهة .. يريدون إبادته .

تتعالى صيحات الاستهجان ، أضيف :

ــ أيها الناس ، أريدكم أن تتمسكوا بمعبودكم ، لا تكفوا يومًا عن عبادته ، لا تسمحوا أبدًا باستبداله كى لا يحل عليكم غضب (آمون) فيُمسك السماء ويصيبكم بالقحط والوهن ويُمرض أولادكم ، ثم فى الآخرة لا تعبرون !

يربّت كبير الكهنة على كتفى :

ــ أحسنتِ . الآن اعمدى إلى تلقى الاستشارات ثم أعيدى (آمون) لينام .

أومئ له ، أضع ورقة بردى ذات كلمة « نعم » على يمين عربة (آمون) ، فيما أضع أخرى ذات لفظة « لا » على اليسار ، أستدير إلى دافعى عربة (آمون) فأؤكد عليهم :

ــ دعوا الإله يحرككم ولا تتدخل إرادتكم لتحريك الدفة .

ــ بالتأكيد .

ــ هذا أمر معلوم .

Looloo
www.dvd4arab.com

أبدأ فى تلقى الاستشارات ، أشير إلى رجل من وسط الجمع فيصيح :

ـ يا (آمون) الكبير .. هل ترى من الصالح تعيين (خسى رع) خازنًا لغلالى ؟

تهتز عربة (آمون) تجاه الشمال .. يصيح الرجل شكرًا لـ (آمون) أن نجده بعدما كاد يلقى بنفسه إلى التهلكة . أشير إلى امرأة على البعد :

ـ انجدنى يا (آمون) العظيم .. هل تظن أن (جمت موتس) هى التى سرقت حُليى ؟

تهتز العربة نحو اليمين ، فتهتف المرأة بعظمة (آمون) وتتعهده بالقرابين الوفيرة . أشير نحو ـ رجل ـ على ـ البعد ... هل يشبه هذا الرجل شخصًا ما ؟ يرتج قلبى بعنف ، يتحدث دونما أن ينزل عينه من على :

ـ أسألك يا (آمون) العظيم أن تدلّنى ، إذا ما التقيتُ حبيبتى بعد أربع سنوات ، أأجدها لازالت تحبنى ؟

فجأة ، تدفق فيض الحنين الذى ظننته توقف من قلب المحيط ، أمد يدًا مرتعشة إلى عربة (آمون) ، أتلمس بأناملى حوافها ، فيما أدفعها برفق نحو اليمين ، يبتسم الرجل ، ثم يزيد :

ـ وحينما تنهى عملها ، هل ستمنحنى ليلة محو ؟

تتجه العربة نحو اليمين . أعلى صوتًا مرتبكًا تكممه الدموع :

ـ (آمون) بحاجة إلى الراحة .. تعالوا غدًا ..

ألتفت وأركض نحو المعبد .

~

ـ أتقولين أن (بورخف) .... ؟

ـ حى ! أبى خدعنى و (بورخف) حى !

~

أجلس فى سكون فى إحدى الغرف المظلمة بالمعبد ، بقيتُ حينًا ليس باليسير أنظر إلى الظلام فى ذهول ولا أردد إلا لفظة واحدة : « حى » .

Looloo
www.dvd4arab.com

هببت منتفضة وانطلقتُ كالسهم نحو قدس الأقداس ، فيما يصيح الكهنة :

ـ ما بك أيتها الكاهنة ؟

ـ إلى أين تذهبين يا (آمين رع) ؟

ـ لا تقتحمى قدس الأقداس فإن الإله قد نام .

توقفتُ والتفتُ إلى الكاهن بحدّة :

ـ يصحو .

ثم ولجت إلى القاعة ، وأوصدت الباب خلفى فيما يطرق الكهنة على الباب بلا توقف .

عمدت إلى تابوت (آمون) ففضضت الختم وجذبت التمثال :

ـ اصحَ ، أفق ، أنت إلهى فلا تغفل عنى ...

أهزه بكلتا يدى :

ـ (بورخف) حى ! هل كنت تعرف أن (بورخف) حى ؟ لماذا لم تخبرنى فى كل الليالى السوداء التى دعوتك فيها ؟ لماذا تركتنى أكابد الويل فى كل صباح ومساء ؟ ثم لماذا أعدته ؟!

أليقتلونه من جديد ؟! ألأتعذب بدمه لأربع سنين قادمة لا أرى ولا أسمع إلا (بورخف) ، (بورخف) ، (بورخف) ثم لا أناله ؟ لماذا تفعل هذا معى ؟ أهذا جزائى أنى كاهنتك وخادمتك المخلصة التى تغسلك وتطعمك وتكسيك ؟ أنا لم يعد لى غيرك فلماذا تتساقط من أمام عينى ؟

يرتجف لصراخى التمثال :

ـ لمـــــــــاذا ؟

ينفتح الباب ، يركض أبى متلهفًا على ، أشيح بوجهى :

ـ إليك عنى .. لقد خدعتنى واستطيبت عذابى .. كنت أتمزق أمامك كل يوم .. كنت أذوى فى كل لحظة ألف عام .. كانت كلمة منك تحيينى : أن (بورخف) حى ! لكنك لم تقلها ، أتعرف لِمَ ؟ لأنك لست أبًا ولا تملك قلبًا .

قلبى يؤلمنى ويئن له جسدى كله .. كم يمكننى أن أعيش بعد هذا اليوم ؟

~

أسألها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ و(بورخف) .. أقابلته بليلة المحو ؟

ـ لم أتمكن ، كانت الأحداث شديدة على ، أذهبتنى فى حمى لعدة أيام ، وحين أفقت ، كان نهارًا لم أحضر ليله قط ..

ـ ماذا تعنين ؟ إذًا أكملى لى .

كانت ترتجف وبدت فى أوهن حالاتها ، لم ترد ، اكتفت بأن قامت وأشاحت بيدها مغادرة .

13

(روز) التى ... و (جاك) الذى لم

آه ! يا لوجع القلب ! ما لى أنا وهذه العجوز ومحبوبها !

أنزل عن الفراش أمط قامتى ، أرى شخوصًا وخيالات تحوم بفكرى وتستلفت انتباهى أينما نظرت .. علّها لحظة تجلى لى أنا الأخرى .. أتناول القلم والأوراق وأجلس أدوّن ما لدى .. لم أنتبه للوقت يمر وأنا بهذه الحالة حتى طرق أحدهم الباب . صحت :

ـ تفضل ، الباب مفتوح !

انكشف الباب عن (نائل) واقفًا يخفى ابتسامة . أوبس .. لم أتوقع هكذا زيارة ، أساوى خصلات شعرى وكأنما بحركة تلقائية ، لابد أن شكلى مثير للضحك . أصيح :

ـ مرحى ! ها أنت ! كيفك ؟

ـ عظيم .. هل تعتادين دومًا على الكتابة بهذا الشكل ؟

ـ تقصد بشعر مبعثر .. همم .. أجل ، غالبًا

Looloo
www.dvd4arab.com

يبتسم :

ــ بل أقصد جالسةً القرفصاء على الأرض .. لماذا لا تستخدمين المكتب ؟

أنتبه للمرة الأولى إلى موضعى على الأرض .. أعتدل واقفة :

ــ لا أعلم ....

ــ حسنًا إذًا ، ارتدى ملابسك بسرعة لنلحق بالإفطار ، ويكفى ما أضعته علينا من عشاء الأمس .. سأنتظرك هنا .

أبتسم بينما أدفع الباب .

~

ماذا أرتدى ؟ ماذا أرتدى ؟ نعم ، الثوب الأبيض سيكون مناسبًا .. خاصة إذا شددت عليه هذا الحزام العريض من الخصر وأسدلته من المنتصف . (قلب المحيط) للداخل ، وهذه القلادة الدائرية العريضة من لون الحزام ستكون رائعة . أوطر عينى من أعلى وأسفل بطبقة سميكة من الكحل ، وأسحبه قليلاً للخارج .. أما شعرى ... أين مكواة الشعر ؟ نعم ، أملّسه تمامًا وأسدله على جانبى رأسى ، أضفّر بعض الخصلات الرفيعة على الجانبين مع قطعة زينة صغيرة عند الطرف ، والآن ....

أفتح الباب وأدور حول نفسى :

ــ أنا جاهزة !

يطلق (نائل) صفيرًا ويصيح :

ــ يا إلهى ! امرأة فرعونية كما يقول الكتاب ! كيف فعلتها ؟

ثم يأخذنى من يدى إلى قاعة الطعام ، لا ينتبه ، ربما ، إلى الدهشة المتصلّبة بعينى .

~

أجلس على المائدة فيما يجلب (نائل) طعامينا ، ألمح على المائدة المجاورة (إلهامى) يتناول طعامه ، تتلاقى نظرتانا للحظة فيدس رأسه فى طبقه ويتمثل أن لم يرنى . يرتجف خدى عن ابتسامة .. ألتفت فإذا بـ (سناء) تتخذ مقعدًا على طاولتى .. تتفحص فى المائدة ثم تتحدث وكأنها تقرأ منها :

ــ بالتأكيد أنكِ لم تغضبى منى يا (ليلى) .. مؤكد أنى كنت أمزح .

ثم ترفع رأسها إلى تتأكد من هذا الـ « مؤكد » .. أفكّر أنّى سأدس (نائل) دسًّا فى حديثى لأغيظها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ نعم ، أعرف ، كنتُ سأفيق من المزحة لأجد أنى بقاع البحر ، لولا أن أنقذنى (نائل) .

تعقد (سناء) حاجبيها ، وتحدّق بى :

ــ تحرّى الصدق يا (ليلى) ، حين جاء (نائل) كنتِ على الأرض وليس البحر .

ــ هذا لا يمنع أنه أنقذنى .. أرأيتِ كيف ضرب (إلهامى) يمينًا ويسارًا ؟

أرمق (نائل) بينما يقتــرب حاملاً الطعــام ، من ثم أتابع الحديث :

ــ وحمدًا لله أنه فتى مهذّب لا يضرب السيدات .

ينزل (نائل) الطعام إلى المائدة .. تبتسم (سناء) ابتسامة مرتبكة وتغادر . يسألنى :

ــ هل ضايقتك ؟

ــ أعتقد أنهم سيبحثون عن غيرى يصبّون عليه مضايقاتهم ، لا أدرى لماذا تحب الفتاة التى يكرهها الجميع !

يضحك (نائل) :

ــ ها قد صرنا الفتى والفتاة اللذيْن يكرههما الجميع .

نشرع فى تناول طعامنا بينما يرسلون لنا حمامة السلام (أحلام) :

ــ أهلاً يا شباب .. ما رأيكم أن نلتقى بالزملاء بعد الإفطار لتصفية أية خلافات ؟ نحن زملاء رحلة واحدة وجدير بنا أن نكون إخوة ، أليس كذلك ؟

أتبادل نظرة مع (نائل) .. أقول بنبرة تتصنع التلقائية :

ــ لا أرى ما يمنع .

ــ عظيم ، بعد الإفطار .

ثم تتركنا وتغادر فيما يقول (نائل) :

ــ كنت أعرف أنكِ طيبة القلب .

أهز كتفى ولازلت أتقمص التلقائية :

ــ هذا لا شىء .. يمكننى أن أعفو عن حفنة من الأوغاد كل يوم .

Looloo
www.dvd4arab.com

ينظر لى مميلاً رأسه ، أعتدل فى جلستى :

ــ بجدية ، لم يكن بإمكانى مسامحتهم لولا ما فعلتَه بالأمس .

ــ لكن علينا أن نعمل بجدية لإزالة سوء التفاهم ، فلسنا بحاجة للمزيد من المشكلات ، صح ؟

ــ أجل ، إذًا أخبرنى ما الذى يقولونه عنى ، حتى أستطيع أن أصحح أفكارهم .

ينظر لى بشك :

ــ هل أنت متأكدة أنه يمكننى أن أخبرك ما يقولون ؟

ــ نعــم .

ــ بصدق ؟

ــ بالتأكيد ، قل ما لديك ..

أشير إلى صدرى :

ــ هذا صدر رحب .

ــ إذًا ، يقولون أنك ...

ــ ماذا ؟

ينطقها دفعة واحدة :

ــ غريبة الأطوار !

أصرخ :

ــ ماذا ؟!

يتلفت (نائل) حوله .. أستعيد هدوئى :

ــ عذرًا يا (نائل) ، انفجرت بوجهك ، لكن هذه العبارة استثارتنى فعلاً .

ــ لا يهم أنا يا (ليلى) ، المهم ألا تنفجرى بوجه أحدهم ، أريدك أن تكونى هادئة وتصححى أفكارهم بشكل عقلانى .

ــ بالتأكيد يا (نائل) ، سترى من هى (ليلى) ، سأمحو أفكارهم بالممحاة .. سترى !

غمغم بعبارة أنه يعرف .

~

Looloo
www.dvd4arab.com

نجلس بالكافيتيريا أنا و (نائل) إلى جانب من المائدة ، وكل الرفاق المعنيين إلى الجانب الآخر ، فيما تترأسنا (أحلام) . تقول :

ــ فى البداية يجب على من أن أخطأ بحق أحد أن يعتذر له ، فهل تقبلون بهذا ؟

نهز رءوسنا جميعًا :

ــ نعم .

تتجه بحديثها إلى (نائل) :

ــ إذًا عليك أن تعتذر لــ (إلهامى) وتقبّل رأسه .

ــ ولكن أنتِ تعرفين مدى خطئه بحق ...

تقاطعه :

ــ سآتى إلى هذا لاحقًا .

ــ حسنًا .

يتقدم (نائل) من (إلهامى) فيعتذر ويقبّل رأسه . تقول (أحلام) :

ــ حسنًا ، والآن على (إلهامى) أن يعتذر لــ (ليلى) ..

يتقدم (إلهامى) حتى يقف أمامى ، ويقول بينما ينحنى على رأسى :

ــ آســف .

يدفع (نائل) رأس (إلهامى) بكفه فى اللحظة المناسبة ، ويمنحه ابتسامة مؤقتة . تتابع (أحلام) :

ــ وبالمثل علينا جميعًا أن نعتذر لكِ يا (ليلى) .. فلتقبلى اعتذارنا جميعًا .

وتتعالى صيحات الاعتذار . أقول :

ــ لا عليكم يا رفاق ، هو الأمر كله أن بيننا سوء تفاهم ، أنتم لا تفهمونني جيدًا ، أعنى .... أنا لا أصل إليكم بشكل جيد .

أنظر إلى (نائل) ، فيومئ لى بحماس ، أتابع :

ــ دعونى أسألكم مثلاً ، ما هى فكرتكم عنى ؟

تقول (أحلام) :

ــ لا أظنها فكرة جيدة يا (ليلى) لتصفية النفوس .

Looloo
www.dvd4arab.com

أدافع بحماس :

ــ لا ، لا ، إنها فكرة رائعة ، جرّبيها .. هيا قولى لى أنتِ ما فكرتك عنى ؟

تقول بتردد :

ــ عصبية ؟

أنظر إلى (نائل) مستطلعة الأمر ، يرفع حاجبيه ويمنحنى نظرة خاوية ، أتجه للجميع :

ــ هاه .. وماذا أيضًا ؟

ينزلون على كالصاعقة :

ــ متسلطة

ــ عدوانية

ــ عنيفة

ــ مغرورة

ــ غريبة الأطوار

ألتقطها على الفور :

ــ أهـ ... غريبة الأطوار .

أخيرًا ؟ حمدًا لله ! أتنفس عميقًا وأقف استعدادًا للخطبة :

ــ أترون ؟ أنتم حكمتم على أنى غريبة الأطوار دون أن تعرفوا أى شىء عنى .. لماذا ؟ ما الذى فعلته لتجعلونى غريبة الأطوار ؟ وإذا كنتم تعدوننى غريبة الأطوار لمجرد أنى أرتدى زيًا فرعونيًا أو أحدّث نفسى بصوت عالٍ أو أتشاجر مع الذاهب والآتى ، فما الذى ستقولونه إذا علمتم أنى قابلتُ كاهنة فرعونية ، أو عقدت صفقة مع الشيطان ، أو كدت أتحول إلى أنماط ليست بشرية على الإطلاق ، أو ...

أنظر إلى (نائل) أستطلع وقع كلا ، ينظر للأرض ويهز رأسه نفيًا . أبتلع ريقى وأصمت ، يقف (نائل) ويحثنى على التقدم ، موجهًا حديثه للرفاق :

ــ حسنًا يا شباب ، سعدنا بلقائكم ، صاف يا لبن هاه !

ثم يدفعنى برفق للأمام .. نتقدم حتى نبتعد عنهم ثم نتوقف . ننظر إلى بعضنا وننفجر بالضحك :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أهذا هو الدفاع الذى ظللتِ تجهزينه ؟ ليتكِ لم تقولى شيئًا !

ــ لو كنتُ أدرى أن التهم بهذا الشكل ما كنتُ أعددتُ دفاعًا لـ (غريبة الأطوار) .. إنها أهون تهمة بينهم يا فتى !

ــ لكن الجلسة مضت بشكل جيد .

ــ لم أتوقع أن تقبّل رأس (إلهامى) لأجلى .

ــ أنا أقبّل رأس سيد قشطة لأجلك .

ــ أمس تضربه لأجلى ، اليوم تقبل رأسه لأجلى ، يا لك من غريب أطوار يا ابنى !

ــ (غريب أطــوار) ، و(ابنى) ؟! ألم يعلّمكِ أحدهم كيف تنادين حبيبك ؟

أنحنى انحناءة مسرحية :

ــ آه ، لا ، لا ، أعتذر عن هذا الخطأ غير المقصود ، منذ الآن فصاعدًا سأناديك (مرى ليلى) .

ــ وما (مرى ليلى) ؟

تتصلب نظرتى عجبًا ، تسقط ابتسامتى فجأة ، تهب عاصفة شديدة تدفعنى تجاه (نائل) .. أتشبّث به فيما أرفع بصرى ببطء :

ــ إنها تعنى (محبوب ليلى) ....

أستدرك :

ــ بلغة الفراعنة .

~

نتخذ مقاعدنا فيما تبث الشاشة مزيدًا من (التيتانيك) :

« تميل (روز) لتضع كوبها على مائدة اثنين يتشاجران فى حفل الدرجة الثالثة ، تلتقط سيجارة أحدهم وتقول :

ــ أتحسبون أنفسكم رجالاً أشدّاء ؟

تتراجع قليلاً للوراء :

ــ فهل يمكنكم القيام بهذا ؟

تطلب من (جاك) أن يحمل طرف ثوبها ، فيما ترفع ذراعيها ببطء ، جسدها ، وقدميها حتى تقف على أطراف أصابعها بالهواء .... فيما يرمق الرجال ما تفعل بانبهار

Looloo www.dvd4arab.com

تظلم الشاشة فيصيبنى ذلك النقر الشديد برأسى .. أغمض عينى وأسند جانبى رأسى بأصابعى .. ثم أفتح عينى فأرى على الشاشة (روز) ينسل شعرها المعقود ليتطاير مع أطراف ثوبها فيما تتمادى فى ارتفاعها رويدًا رويدًا حتى تفارق الأرض وتتعلق بالهواء ! كيف أمكنها هذا !.. أخفض رأسى وأهتف :

ـ هراء !

يسألنى (نائل) :

ـ ما الأمر ؟

أشير إلى الشاشة دون أن أنظر إليها :

ـ لا أكف أرى (التيتانيك) على كل شاشة بهذه السفينة ، غير أنهم يحرّفون بالفيلم !

ينظر (نائل) إلى حيث أشير .. يبدو عليه العجب فيما لا يثير عجبى أنا بعدما صرتُ أعرف القواعد ، يقول :

ـ ولكن الشاشة ....

أعرف أعرف ....

يكمل عبارته :

ـ مُقفلة .

تصدمنى العبارة لجزء من الثانية ، قبل أن أدرك أن الأمر سيّان . على فقط أن أتحاشى النظر إلى أية شاشة . يقرّب (نائل) مقعده ويُقبِل على بجسده :

ـ ألازلت لا تريدين إخبارى عن السر الذى تحملينه ؟

ـ أخشى عليك من مصير الذين يعرفون أكثر من اللازم .

ـ أليس رائعًا أن نشترك فى مصير ما ؟

ـ وما الرائع فى أن تفقد عمرك ؟

أقوم ، وأخطو نحو سور السفينة .. أعقد ذراعى وأطل من خلف السور على أفق واسع لا نهاية له ، ولكنه وحده قادر على إنهاء الحكايات .. وأنا : ذرّة بالكون بلا حيلة .. المحى كل الشراك يا (ليلى) ، أدركى كل المكائد ، لكنك لن تستطيعى أن

Looloo
www.dvd4arab.com

تفعلى أدنى شىء ! أمى حذرتنى ، نفسى حذرتنى ، وحتى الجمادات كانت لتنطق وتقول : لا تذهبى . فهل كانت المسابقة تستحق المغامرة ؟

يأتى (نائل) ليستند بجانبه إلى السور وينظر إلى .. ولكنك أنت يا (نائل) تستحق المغامرة . يرفع حاجبيه عجبًا :

ــ لماذا تعقدين ذراعيك بهذا الشكل ؟

ــ كيف ؟

أميل برأسى وأنظر إلى ذراعى المعقودين فى وضع عكسى على صدرى ، أرتفع برأسى إلى (نائل) ، أمنحه نظرة فارغة ... ترتسم الجدية على وجهه :

ــ كنت تجلسين جلسة الكاتب المصرى صباحًا ، ثم ترتدين ملابسهم وتتحدثين حديثهم ، والآن تعقدين ذراعيك بوضع ملوك الفراعنة .. هل فعلت هذا دون إدراك منك ؟

يشتت انتباهى نداءات (روز) المتكررة بحثًا عن (جاك) ، أتحاشى الالتفات ، محاولاتها المستميتة البحث عن مساعدة

تعود بها إليه ، أقاوم المشاهدة ، صوت الزجاج الذى يتهشم لتحصل على الفأس ، صوت الماء الذى يندفع داخل السفينة ، صوت لهاثها المتقطع فى طريق العودة ، أستدير :

« تدخل (روز) حاملة الفأس فيما (جاك) مقيّد اليدين حول عمود ، تسأله عمّا إذا كان هذا الشىء سيفى بالغرض ، يخبرها أن هذا ما سيتم اكتشافه ، ترفع الفأس وتكاد أن تضرب به ، ولكنه يستوقفها ويطالبها بالتمرن أولاً على قطعة أثاث ، تنجح (روز) فى التدريب وتعود إليه فيطالبها بأن تضرب بقوة وسرعة ، يعلّمها كيف تُمسك بالفأس ، ويخبرها بالنهاية أنه يثق بها ، ثم ينظر إلى الجهة الأخرى ويطلق إشارة البدء :

ــ انطلقى .

Looloo
www.dvd4arab.com

ينقطع الإرسال .. أعتصر جانبى رأسى .. هذا الألم شديد حقًا .. أسمع شرارة إضاءة الشاشة .. أرقب بعينين متسعتين (روز) ترفع بالفأس نحو يد (جاك) ، ترفعه أكثر وأكثر نحو عنق (جاك) ، تلتمع عينها بنظرة تكتم/أو تفضح أشياء .. ثم فى لحظة تهوى بالفأس على القيد فينكسر .

يبدأ الألم فى الزوال ، أشعر بوجود ثقيل خلف ظهرى ، أستدير فجأة فأجد العجوز :

ـ أنت هنا يا حفيدة الفراعنة !

تضيق عينى بينما أهمس كالمُغيّبة :

ـ (روز) .. ثمة قوى خفية سيطرت على (روز) ..

ـ هل أنتِ مستعدة للفصل الأخير من القصة ؟

ـ أنتِ سيطرتِ على (روز) .

ـ الجو بارد هنا ، أوليس من الأفضل أن نحصل على مشروب دافئ حول المدفئة بالغرفة ؟

أستعيد انتباهى فأهتف بوجهها :

ـ أنتِ سيطرتِ على (روز) ، كما تسيطرين على ابنتها .. والآن ماذا تفعلين بى ، هاه ؟

تتابع حديثها كأنها لم تسمعن :

ـ ليتنى ارتديتُ الشال !

يتدخل (نائل) فيمد يده من ورائى يجذب (روزيت) من الكتف :

ـ لماذا لا تبدو إجاباتك كما يجب أن تبدو الإجابات ؟

أدفع بـ (نائل) بعيدًا عنها :

ـ لا ، لا ، لا .. ابق بعيدًا عن هذا يا (نائل) رجاء ..

Looloo

أقود العجوز إلى الأمام :

ــ هيّا إلى الغرفة ، هيّا !

~

ندلف إلى الغرفة فأغلق الباب وأهم أن أنطق لكنها تضع سبابتها على فمى :

ــ حين أنتهى من القصة ، سأجيب على كل ما يدور برأسك .. هذه كلمة كاهنة .

أبتلع كلماتى ، كما أنه مهم لها أن أعرف القصة ، مهم لى أيضًا أن أعرفها فأدرك تكوينها ودوافعها علّها تمنحنى فكرة عن كيفية مواجهتها ، بالإضافة إلى حاجتى إلى الإجابات ، هكذا حزمتُ أمرى :

ــ قد أسمعك ، لكنى لن أكتب شيئًا .

ــ لا بأس .

تذهب إلى جدار فتنظر عبر كوة زجاجية ، وتقول :

ــ لا أدرى كم يومًا لزمتُ فراشى ؛ فالزمن اختلت حساباته وصار فقط : أنفاس (بورخف) على ظهر هذه الحياة .

14

(بورخف) الذى ... و (بورخف) الذى لم

(بورخف) ..

على فراشى المحموم كان الفراش يسمى : (بورخف) ، والأغطية : (بورخف) ، ووسادتى كان اسمها (بورخف) ..

كان أبى يصيح بأمى : (بورخف) ، فترد عليه مهدّئة : (بورخف) ، فيدفعها إلى بعيد ، صارخًا : (بورخف) .

كانت العنزة تموء لوليدها فى الصحراء : (بورخف) ، فيشد طوله ثم يسقط صائحًا : (بورخف) ، فتمد رأسها تلعقه : (بورخف) ، (بورخف) .

كان الحبيب يناجى حبيبه : (بورخف) .

والصديق يعاتب صديقه : (بورخف) .

والقاضى يقضى بحكمه : (بورخف) .

والعبد ينحنى لسيده : (بورخف) .

Looloo
www.dvd4arab.com

والطير يتغنى : (بورخف) .

والكون كله : (بورخف) .

وأنا : (بورخف) .

~

ترتعش عينى فألمح من بين ارتعاشاتها خيالات أعرفها ، ألمح أبى وأمى و(بورخف) ، أقول لهم : (بورخف) . ثم تهمد ارتعاشتى .

ينفتح التابوت عنى ، يوقظنى من سباتى وحش عظيم يحوم حولى ، أرفع كتاب الموتى بوجهه على صفحة (بورخف) فيذوى ويبتعد .

يحضر الإله (أنوبيس) برأس ابن آوى فيأخذ بيدى ويقيمنى ثم يشير إلى فمى لأنطق شيئًا ، فأقول : (بورخف) . يمهد لى الطريق ويقودنى ولكنى ألتفت إليه وأسأله : (بورخف) ؟ يتريث للحظة ثم ينظر للأرض ويهز رأسه فى أسى : (بورخف) .

تصادفنى وحوش عملاقة : خنفساء ، ثعبان ، عقرب ، خليط من الحيوانات ، أتجاوزهم جميعًا حين ألقى عليهم تعويذة : (بورخف) .

تنفتح أمامى قاعة الحساب .. يطالعنى اثنان وأربعون بوابة ، يحرسها اثنان وأربعون إلهًا ، يحملون اثنين وأربعين خطية يجب أن أتكرها ... هذه سهلة ! تدربتُ عليها مع (بورخف) ، أستعيد فى نفسى دفاعاتى : لم أقتل (بورخف) ، لم أسرق (بورخف) ، لم أشهد (بورخف) ، لم ألوّث (بورخف) ، لم ....

يجذبنى إلهًا من ثوبى :

ـ هل أحببتِ (بورخف) ؟

يجذبنى آخر من ظهرى :

ـ أم عشقتِ (بورخف) ؟

يجذبنى ثالث من شعرى :

ـ أم هويتِ (بورخف) ؟

ـ أم همتِ بـ (بورخف) ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أم ذُبتِ بـ (بورخف) ؟

ـ أم ولِهتِ بـ (بورخف) ؟

ـ أم ولِعتِ بـ (بورخف) ؟

أصرخ بهم جميعًا : (بورخف) ! (بورخف) !

أسقط على الأرض أردد : (بورخف) !

يأتى الإله (حورس) برأس الصقر يستنقذنى ، يدفعهم عنى صائحًا بوجوههم : (بورخف) .

يقودنى نحـو قاعة المحكمة . ترتعش ساقاى على بابها ، ألتفت إلى (حورس) فأسقط عند قدميه باكية : (بورخف) ، (بورخف) .

يضع يده على رأسى ويقول بحروف متأنية : (بـ ، و ، ر ، خـ ، ف) .

أنطق خلفه : (بورخف)

يصحح لى : (بـ ، و ، ر ، خـ ، ف) .

أصيح مـن بين دموعى : (بورخـف) ، (بورخف) ، (بورخف) .

يهز رأسه نافيًا ... يتناول كتاب الموتى من يدى ويشطب منه كل لفظة (بورخف) . يتناول جعران قلبى المقدس ويمحو منه (بورخف) ، يتناول دمعًا من عينى يغسل عن جسدى (بورخف) ، يسألنى :

ـ أيمكنك الآن الحديث دون أن تقولى « بورخف » ؟

أفتح فمى لأقول شيئًا :

ـ (بورخف) !

يجذبنى حاجبان نحو المحكمة ، أتقدم معهما بينما رأسى للوراء ، يصيح (حورس) من أجلى :

ـ تذكرى ألاّ (بورخف) ! تذكرى ألاّ (بورخف) !

~

يدفعوننى نحـو مجلس الإله (أوزوريس) .. أتلفت بين الحضور ... أين (بورخف) ؟... يتلفت (أوزوريس) نحو معاونيه ، ثم ينظر لى بعجب :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ألا تلقى التحية على مجلس الآلهة ؟

أبتلع ريقى ، أفتح فمى :

ــ (بـــ .... بـــ .... بـــ ....

ــ ماذا ؟

ــ (بـــ .. بـــ .. بـــ .. بـــ .. بـــ ....

يسكتنى (أوزوريس) بإشارة من يده :

ــ لا يهم ! ناجى قلبك سريعًا لنزنه أمام الإله (ماعت) .

أنظر إلى جعران قلبى .. أضممه بكف مرتعشة وأرفعه أمام وجهى ، أحدثه فى نفسى : « يا قلبى .. بيننا (بورخف) ، يا قلبى .. لا تفش (بورخف) » تجتذب عينى الإله (عميت) برأس التمساح إذ يتسايل لعابها على القلب فى يدى ... أعيد النظر إلى قلبى : « يا قلبى .. » أحاول أن أستعيد تركيزى : « يا قلبى .. » . صـــوت زئير (عميت) وحشرجاتها تثير أعصابى وتذيب عظامى : « يا قلبى ، أخف (بورخف) ، اطو (بورخف) ، احفظه فى قدس أقداسك ، أغلق عليه بابك ، وإلا فشلت أمام الريشـــة وأكلتك الإله (عميت) » .. أنظر إلى

(عميت) .. لازالت تلعق أسنانها وتزمجر آملةً فى قلبى .. تخترق زمجراتها قلبى ، تزعج زمجراتها (بورخف) ، تقلق (بورخف) ، تخيف (بورخف) .. هى تريد قلبى ، وأنا أحب (بورخف) .. أقذف إليها بقلبى . وأصرخ : أحب (بورخف) يا قلبى ، أحب (بورخف) يا (أوزوريس) ، أحب (بورخف) يا (عميت) ، أحب (بورخف) ، (بورخف) ، (بورخف) ....

تلوك عميت قلبى بتلذذ ، ثم تتقدم نحوى فى تؤدة .... تلتهم ساقى ثم جذعى ثم ذراعى وصدرى ثم رأسى الذى يردد : (بورخف) ...

~

(بورخف) ؟

أحس بلمسة على يدى .. أفتح عينى ، أشعر أننى أفضل كثيرًا ويمكننى أن أعيش ألف عام ، تشرق أمى لرؤيتى ، يبتسم أبى ، أشعر يدى منداة ، ألتفت فإذا دموع (بورخف) تبلل يدى .. أدير بصرى بينه وبين أبى وأمى .. أهو (بورخف) أم أننى لازلت أهذى ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

يقول أبى بوهن :

ــ أربعة أيام لا تقولين إلاّ (بورخف) .. تزوجيه يا ابنتى .

يخرج أبى ، تضع أمى صينية الطعام وتخرج خلفه ، يصعد (بورخف) ليجلس على طرف فراشى وينظر بعينى :

ــ أربعة أعوام لا أقول إلا (آمين) ..

أعتدل جالسة :

ــ أسمعت عبارة « تزوجيه » ؟

يومئ (بورخف) باسمًا :

ــ سمعتها .

يضمننى (بورخف) بينما نضحك ونردد :

ــ سنتزوج !

يصمت ، يقربنى إليه أكثر ، أستشعر ذوبانى به ، أستشعر كم توقه إلى ، كل لحظة فاتتنى منه ، كل كلمة لم يقلها ، يبعدنى عنه قليلاً لينظر بوجهى :

ــ تبدين شاحبة .. كم أنفقتِ على من روحك !

ينظر إلى شعرى المرفوع فيزيح دبوس شعرى إلى جانب .. ينسل شعرى ملامسًا أصابعه .. يقوم إلى أدوات زينتى فيحضر الكحل والمرآة .. ثم يهمس لى :

ــ أغمضى عينيك ..

أملّى عينى بنظرة طويلة إلى (بورخف) ، قبل أن أغلقهما طائعة ، يسند رأسى بيده فيما تجرى الأخرى على عينى ، أقول :

ــ أتعرف أنك لى ، كهذا الكحل بعينى ؟

يقول :

ــ أفكّر أين سنقيم حفل زفافنا ؟

ــ لو أنصفت لعقدته بالغابة .

يزيح يده ويقول :

ــ افتحى عينيك ..

أفتحهما فتطالعنى صورتى على المرآة التى يحملها (بورخف) أمام وجهى ، يستدرك :

ــ انظرى إلى الشىء الوحيد بالكون الذى يوازى جمالك .

Looloo www.dvd4arab.com

أدير المرآة نحوه فيما أقول :

ــ وهذا هو الشيء الوحيد بالكون الذى يفوق حلاى !

ولكنه لا ينظر ، يلتفت إلى الجلبة بالخارج .. الكهنة يقتحمون منزلنا فى سرعة ويهتفون بأبى :

ــ أنجدنا أيها الكاهن العظيم : جنود (إخناتون) اقتحموا المعبد واعتقلوا كبير الكهنة ويكسّرون تماثيل (آمون) .

أصرخ :

ــ لا ! ! ! (آمون) لا ! ! ! ! ! ! !

أزيح الأغطية وأنزل عن فراشى فأركض حافية القدمين إلى المعبد فيما يتبعنى (بورخف) .. أخترق مجموعة من الجنود تعكف على تكسير التماثيل بفئوسهم فأستنقذ تمثالاً صغيرًا لـ (آمون) وأركض .. إلاّ (آمون) ، يمكنكم أن تحطّموا أى شيء إلاّ (آمون) .. يستوقفوننى ، يصرخون ، لا أنصت ، أركض حتى فناء دارنا فأحفر حفرة صغيرة وأدفن (آمون) عن أعينهم ، تخرج أمى فتحاول إثنائى ، أصدّها ، وقبل أن أهيل التراب يكتشفوننى ، يخطف أحدهم (آمون) فيما أحاول استخلاصه منه

بكل قوتى ، يصارعه (بورخف) فأنجح فى جذب التمثال وضمه إلى صدرى . تحاول أمى جذبى إلى الداخل ، يرفع جندى آخر فأسًا نحو (آمون) على صدرى .. أتجمد للحظة إذ أنتبه إلى الفأس الساقط على ، وفى اللحظة التالية أنتبه إلى (بورخف) الذى يحول بين الفأس وبينى .

يسقط (بورخف) على الأرض ، يسقط التمثال من بين يدى ، تلطم أمى خديها ، يرتبك الجنود ويغادرون ، يلتم الأطفال يشاهدون ..

أميل على (بورخف) ، أحنّى كفى من دمائه ، أكحل عينى ، وأخضّب شفتى ، سنتزوج يا (بورخف) ، اطمئن ، سنقيم حفل زفافنا فى الفردوس حيث حقل القصب المبارك .

أجذب الفأس من صدره وأحفر حفرة عميقة تتسع لاثنين . أوسد (بورخف) قبره ، أركض إلى البيت أجلب كتاب الموتى الخاص بى وأعود إلى قبر (بورخف) أستحضر أمام عينى كل العذاب الذى مر بى ، كل السحر الذى تعلمته بحياتى ، وذاك القدر الذى أحمله من حب (بورخف) . أسوّد الصفحة الأخيرة من الكتاب : أكتب تعويذاتى عن العذاب الذى يحط بمن يزعجنى

www.dvd4arab.com

فى رقادى ، أكتب عن الويل الذى يذوقه من يجرؤ أن يسلب منى سلامى فى الآخرة ، أكتب عن اللعنة التى لن تفرّق بين رجل وامرأة أو شيخ وطفل أو سيد وعبد تجاسر على أن يفرّقنى عن (بورخف) . أخط بكل سخط أحرفى : « أفيقى من هذه الغيبوبة التى ترقدين فيها ، فنظرة من عينيك كفيلة بالانتصار على كل ما ارتكب ضدك ، وانهض من سباتك يا (أوزوريس) ، فنظرة من عينيك تقضى على أعدائك الذين انتهكوا حرمتك المقدسة » .

أرفع رأسى وأصرخ :

ــ ويل لمن يحرمنى (بورخف) فى الآخرة ، ويل له !

أطوى كتابى وأنزل أتمدد جوار (بورخف) ، تصرخ أمى وتحاول جذبى ، أتشبث بيد (بورخف) ، تقترب دائرة الأطفال ، ينادى مناد : أن أبى اعتقلوه ، تسقط أمى فاقدة الوعى ، أرفع رأس (بورخف) إلى صدرى وأقول :

ــ نم يا حبيبى ، فى الساعات التالية وحتى أغط فى النوم ، سأحكى لك حكاية قبل النوم ، ولكنى سأحكيها بلا صوت ، كى لا يملأ فمى التراب .

أنظر إلى الأطفال من فوقى وأقول :

ــ أهيلوا التراب يا أحبائى ... أهيلوا التراب .

~

تجلس (روزيت) على مقعد قريب ، تعم لحظة صمت أحترمها كلحظة حداد ، ثم بالنهاية أكسر الصمت :

ــ ولم يخرجك أحدهم ؟

ــ لم يجرؤ أحد ، ولكن حين أفاقت أمى أخرجتنى وقامت بتحنيطى ودفنى كما يليق . والآن ما الذى تودين معرفته ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

15

السفينة التى ... والقوارب التى لن

أعتـدل فى جلستى وأحاول أن أنفض عن ذاتى (آمين) ، و(بورخف) .. أقول :

ــ ما الذى تريدينه منى ؟

ــ جسدك ؛ هذا الجسد يبلى .

ــ ولماذا أنا ؟

ــ ليس بالضرورة أنت ، حدث هذا مع (روز) ثم ابنتها ، وكان من الممكن أن يحدث مع غيرك ولكن القلادة اختارتك .

ــ وهل تحتاجين القلادة للحصول على جسدى ؟

ــ أنتِ التى تحتاجينها .

ــ كيف ؟

ــ حين تحين اللحظة ، وأستفى القرابين ، سأترك هذا الجسد وأنتقل إلى جسدك ، فيما تضيق القلادة لتخنقك ، وحين تخرج روحك ستحل بالماسة وتسكن بها .

ــ هكذا .. بهذه البساطة ؟

ــ كل شىء معد لهذا ، القلادة بعنقك ، استخدمت المرآة ودبوس الشعر ، سمعتِ قصتى حتى النهاية وتغلغلت إلى روحك ، بعض القرابين غرقت والباقون فى طريقهم لهذا مع غرق السفينة ، كل أدواتى حاضرة .

أخرج عن ثباتى ، أصرخ :

ــ لماذا تفعلين هذا ؟ ما ذنبى أنـــا ؟

يدق الباب فأفتح :

ــ (بورخف) .... أ .. أقصد (نائل) ، ما أتى بك ؟

يتطلع إلى العجوز من خلفى بينما يحدّثنى :

ــ ماذا يحدث عندك ، سمعتك تصرخين ، هل وقع شىء ؟

لستُ وحـدى غريبة الأطـوار يا (نائل) ، الظروف التى جمعتنا كذلك غريبة الأطوار ، لو كنتُ سأموت فمن غير المنطقى

Looloo
www.dvd4arab.com

أن أتركك تعلق بى أكثر ، كما فعلت (آمين) منذ آلاف السنين ، أربط على قلبى حجرًا وألقى به فى البحر :

ــ هل تتنصت على ؟ من غير المستساغ أن تراقبنى ، ولا أتوقع أن أقبل بهذا إن استمرت علاقتنا .

تبدو الدهشة فى عينيه :

ــ (ليلى) ! أنا خائف عليك لا أكثر .

ــ إذًا دعنى وشأنى .

ثم أغلق الباب ، وأستند عليه ألتقط أنفاسى . تُمسك (روزيت) بالريموت فتفتح التليفزيون فيما تطلق زفيرًا :

ــ مساكين أولئك العشاق .. تذكريننى بـ (روز) ، كانت روحها مقاومة مثلك ، ولكن .. بالنهاية ....

تميل رأسها فى أسف . أنظر إلى الشاشة :

(روز) ممدة فوق قطعة خشب بالمحيط من حطام السفينة ، فيما (جاك) بالماء ومتعلق بيدها ، تقول (روز) :

ــ لا أشعر بجسدى .

ــ كان أفضل شىء وقع لى يا (روز) أن التقيتك ، وأنا ممتن لهذا ، (روز) .. يجب أن تمنحينى الشرف وتعدينى بأنك ستعيشين ، وبأنك لن تستلمى مهما حدث ، ومهما بلغ بك اليأس ، عدينى الآن يا (روز) ، ولا تحنثى أبدًا بهذا الوعد .

ــ أعدك .

ــ لن تستلمى أبدًا .

ــ لن أستسلم يا (جاك) ، لن أستسلم أبدًا .

يقبّل يدها ، ويميل برأسه عليها .

تنطفئ الشاشة ، يضربنى (ألم) كالصاعقة فى رأسى ، أتأوه فيما أترنح خطوتين للوراء .. يعود الإرسال فتعلق عينى بالشاشة ، أرى (روز) وقد اكتست ملامحها بشىء كالغدر ، تأخذ شهيقًا عميقًا وكأنما تستجمع قواها قبل أن تدفع بكلتا يديها (جاك) إلى الأسفل ، ثم أرى نظرة الدهشة بعين (جاك) بينما يسقط إلى القاع .

يزول الألم ، تطفئ العجوز التلفاز ، فيما تقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ تسألين ما ذنبك ؟ وما ذنب (روز) ؟ وما ذنب (جاك) ؟ وما ذنبى أنا ؟ وما ذنب (بورخف) ؟ ألا يجب أن يدفع أحدهم الثمن ؟ ألم يفرّقونى عن حبيبى فى الدنيا ، ثم فى الآخرة ؟ ألم أفقد حبيبى ومكانتى وحياتى وحتى إلهى ؟ ألم أقبل بكل هذا وأرقد فى سلام فى مقبرتى فاستكثروا على حتى الرقاد ؟ لماذا نبشوا قبرى ؟ ماذا أرادوا منى ؟ أبعد هذا العمر يريدون أن يتناقلونى بين أيديهم كما الخنفساء فى أيدى الأطفال ؟ أم يريدون أن يضعونى فى آنيـــة زجاجيـــة ويشيرون للزوّار : « انظروا يا شباب ، هذه مومياء ظريفة من عهد الفراعنة ! »

أهل كانت مثلى لتقبل بهذا الأمر ؟ تسببتُ فى الألم لكل من مس جسدى .. وأغرقت (التيتانيك) التى كان من المفترض أن توصل مومياءى إلى متحف بـــ (نيويورك) ، وحصلت على جسد جديد أعيش من خلاله الحياة التى سلبت منى . كل شىء كان معدًّا لى ، (روز) ترتدى القلادة ، تستخدم أدوات زينتى ، قرابين الغرقى مستوفاة ، مومياءى بالتابوت خلف غرفة القيادة ، ماذا كان ينقصنى لأعود للحياة ؟

ـ تنقصك .. تنقصك بعض الإنسانية .

تصرخ :

ـ ما الذى تلومينني عليه ؟ وما الذى كنت لتقولينه لو لم أحك لك كل شىء ؟

ـ الظلم لا يُبرَر بالظلم .

تشيح بيدها وتتركنى لتفتح الباب :

قُضى الأمر .

ثم تغلقه خلفها .

~

أفكر أول ما أفكر فى توديع أمى .. أجذب الهاتف وأدير الاتصال متمنيةً فى نفسى ألا يبادرنى بحججه المعهودة ، وحين يعيد على سمعى عباراته الآلية لا أندهش ، لم تكن أكثر من أمنية يائسة . أتطلع إلى الموجودات من حولى ، فتقع عينى على المرآة ودبوس الشعر ، أطيح بهما إلى الأرض ثم أغادر الغرفة .

أسير نحو السطح فيما أفكر : يجب أن أفعل أى شىء لأوقف غرق السفينة ، على أن أحذّر القبطان . أعكس اتجاهى وأتحرك

Looloo
www.dvd4arab.com

نحو غرفة القيادة ، أسير خطوتين وأتوقف : ولكنى اشتقت إلى (نائل) جدًا ، لا أتصور أن أموت دون أن أعتذر له ، ألتف قليلاً للخلف ، أتوقف لحظة ، أرتج فى مكانى وأسقط على الأرض .. يا إلهى ! ماذا يحدث على هذه السفينة ؟ أسرع الخطا نحو غرفة القيادة .

العديد من الغرف وسط العديد من الممرات .. فأين تلك الغرفة ؟ ولكنى أتابع الضجيج فأصل إلى غرفة القيادة ، كل الأشخاص واقفون على أطراف أعصابهم ، كلهم يتحدثون بصوت عالٍ ، كلهم مذعورون . أسمع القبطان يتحدث إلى أحد ضبّاطه :

ــ وما سبب التوقف ؟

ــ ثمة أضرار لحقت بمصفاة الزيت ، لم يعد يزيت العمود المرفقى ، فاحتك بالأجزاء الأخرى وأدى إلى توقف المحرك . سيتطلب أكثر من اثنتى عشرة ساعة لإصلاحه .

ــ اعكف عليه ، اعكف عليه ...

يلتفت سريعًا إلى آخر :

ــ والإعصار .. كم بقى على الإعصار ؟

ــ إن سرعته خمسة وسبعون كيلومترًا فى الساعة ، سيصلنا خلال ساعة على الأكثر..

يستدرك :

ــ إنه ليس شديد القوة ، ولكن مع تعطل السفينة .. لن يمكننا مواجهته !

ينظر القبطان إلى رجل آخر :

ــ هل أرسلت نداء الاستغاثة ؟

ــ أرسلته عدة مرات لكن لا رد .

ــ والحرس البحرى ؟

ــ بإمكانهم إرسال طائرة مروحية ، ولكنها ستصل خلال ثلاث ساعات .

ــ وإن وصلت ، فكم ستتسع المروحية من هذا العدد الهائل من الركاب ؟! أطلقوا الصواريخ النارية ، وأنت ..

يشير إلى أحدهم :

ــ أذع بيانًا للركاب ثم انطلق بنفسك للتأكد من تطبيقه ، أخبرهم أن يرتدوا بذلات النجاة ، ويلتزموا الطابق السفلى .

www.dvd4arab.com

أصرخ :

ــ قوارب النجاة ! قوارب النجاة !

ينتبه لوجودى لأول مرة :

ــ بلا جدوى ؛ هــذا الإعصار حين يأتى إلى هــذه المنطقة الضحلة سيحول المياه إلى أمواج هائلة تبتلع أية قارب أو أية سفينة غير قادرة على الإبحار .

أبدأ بالانهيار :

ــ ما معنى هذا ؟ يجب أن يكون هناك حلٌ ! يجب أن تفعلوا شيئًا !

يشير إلى :

ــ أخرجوا هذه !

يقتادونى إلى الخارج ، أستند إلى جدار ألتقط أنفاسى ، كم أحتاج أن أرى (نائل) !

16

(روزيت) التى ... و (جورج) الذى لم

أفكر أن قد أجد (نائل) حيث تركته آخر مرة .. ألمحه من بعيد مستندًا إلى سور السفينة ومتطلعًا إلى الأفق ، أخطو باتجاهه .. أشعر نبضات تتسلل إلى القلادة .. أتقدم حثيثًا نحوه ، تدق القلادة على صدرى دقات غير منتظمة ، غير متوقعة ، وغادرة ، أتوقف تمامًا خلف (نائل) ، تدق القلادة دقةً فزع كبرى ، أمد يدى نحو ظهره و ....

يستدير (نائل) فجأة ، أسحب يدى فجأة ، تتوقف الدقات فورًا ، يرمقنى (نائل) فى ذهول ، أبادله الذهول بذهول .. أتهاوى إلى أسفل باكية ، يرفعنى (نائل) من ذراعى :

ــ (ليلى) ، ما الأمر ؟

ــ أنا كدت أقتلك يا (نائل) ، كدت أدفع بك للبحر ، أنا صرتُ خطرًا عليك يا (نائل) ، خذ حذرك منى !

ــ ما الذى تقولينه ؟ حاولى أن تهدئى .. فقط اهدئى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هو ما أقول يا (نائل) ، صدّقنى ، وابتعد عنى قدر ما تستطيع .

أتركه وأبتعد ، يستوقفنى من ذراعى :

ـ أتقولين هذا يا (ليلى) من أجل إنهاء ما بيننا ؟

ـ لاا .. صدّقنى ، أنت فى خطر طالما أنك ترانى .

ـ لكن ما تقولينه فوق العقل ..

أهز برأسى فى يأس ، أنفض ذراعى من يده وأبتعد .. خطوات ويستوقفنى من جديد :

ـ حسنًا يا (ليلى) ! أنت حذرتنى وفعلت ما عليك ، وعلى وحدى أن أختار طريقى ، وأنا اخترتك .

ألتفت إليه بقلبى كله :

ـ (نائل) يجب أن تصدّق . أنا ستحل بى روح كاهنة فرعونية ، تلك الروح التى تتقمص العجوز ، وأنت لا تريد أن ...

يقاطعنى :

ـ العجوز ؟ هى العجوز إذًا ... ماذا قالت لك العجوز ؟

ـ قالت أشياء عن إغراق السفينة ، السفينة ستغرق يا (نائل) بعد أقل من ساعة ، للتو جئت من غرفة القيادة ، كما قالت : إنها ستحل بجسدى كما حلّت بـ (روز) .

ـ تحل بك ؟ بهذه البساطة ؟

ـ بل الأمور شديدة التعقيد ، وقد قالت : إنها أعدت كل شىء كما أعدته لـ (روز) : قلادة (قلب المحيط) ، وأدوات زينتها ، ومومياءها فى التابوت و ....

هل قالت « مومياءها » ؟ ترن بأذنى عبارتها : « كل شىء كان معدًا لى ، (روز) ترتدى القلادة ، تستخدم أدوات زينتى ، قرابين الغرقى مستوفاة ، مومياتى بالتابوت خلف غرفة القيادة » ، أذكر بحثى على الإنترنت : « ويُقال أن مومياءها كان مُعدًا للنقل إلى متحف بـ (نيويورك) ، فى تابوت خلف غرفة قيادة سفينة (التيتانيك) » . ، فيما تدوّى بأذنى عبارتها يوم تعارفنا : « ولذلك حينما توفى زوجى (جورج) حملته فى تابوت وها أنا أسعى لنقله إلى (أمريكا) » .

أضع العبارت أمام بعضها .. يستحثنى (نائل) :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وماذا يا (ليلى) !

أهتف فى سعادة :

ــ مومياءها يا (نائل) ! هذا كل شىء !

ــ لا أفهم شيئًا .

أجذبه من يده وأتجه إلى أسفل :

ــ ثق بى يا (نائل) ، لم يعد لدينا وقت ، بضع دقائق لا أكثر .

يطاوعنى فنتقدم فيما يصادفنا ضابط يركض ويردد فى هلع :

ــ على الجميع ارتداء بذلات النجاة .. لا داعى للهلع ، نحن نتخذ إجراءاتنا .

نتقدم قليلاً فيطالعنا الذعر بكل الوجوه ، البعض بدأ بالاستجابة ومشى يترنح فى بذلة نجاته الزلقة ، والبعض لازال مذهولاً .. يجب أن نتقدم سريعًا قبل أن يعوقنا تدافع الركّاب . ترتج السفينة تحت أقدامنا ، يصيح الضابط :

ــ تحركوا ببطء ، لا تتدافعوا ، تشبثوا بالجدران .. وإذا اهتزت السفينة توقفوا ...

فيما يذيع القبطان بيانًا بالمعنى ذاته ، أضغط على يد (نائل) ، وألتفت مانحــة إياه ابتسامة مشجعة فيما أتقدم ، أعــود برأسى للأمام فأشهق فى ذعر : إنها العجوز أمامى بالضبط ، أضطر للتوقف فيما تصيح :

ــ إلى أين يا حفيدة الفراعنة ؟

أزيحها بيدى فى عنف :

ــ ابتعدى عن طريقى .

أتركها خلفى وأتقدم فأجفل إذ أراها أمامى :

ــ لكننا لم ننه ما بيننا بعد .

يلكمها (نائل) لكمة ترديها بأحد الأركان ، نمر بأناس يتطايرون فيسقطون بالزوايا ، وأشياء تتكسر فوق الرجال الساقطين ، وفرق إسعاف تتنقل بين المصابين ، دوار بحر ، كدمات قوية ، وأحيانًا تكون الإصابة محض خروج للروح .

نصل إلى أعتاب غرفة الأمتعة . أتوقف لحظة ألتقط أنفاسى ، ثم أدلف إلى الداخل :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ أبحث عن تابوت يا (نائل) ، لابد أن مومياءها فى التابوت الذى ادّعت أنه لزوجها ، ساعدنى فى البحث .

أتفحص بعض الأكوام من الحقائب ، أزيح بعض الصناديق ، أرمقه بالمستقر :

ــ ها هو بالأسفل !

أدفع الصناديق أعــلاه بكلتا يــدى .. يزيحها (نائل) بينما يقول :

ــ أنا لا أرى شيئًا ، هل أنتِ واثقة ؟

أدير الأمر بعقلى ، لربما لا يرونه كما لا يرون القلادة ، لكننى أراه ، وهذا يكفى ... أرتجف لعبارة تخترق سمعى :

ــ بارعة يا حفيدة الفراعنة ..

تدوّى ضحكة ترتج بصدرى :

ــ كم أنتِ بارعة !

أتلمس القلادة فى فزع ، تتسلل دقّات إلى القلادة بصدرى ، ألتفتُ أرمق (روزيت) ، ترتعش عيناها وتترنح فى مكانها ، أتصلّب فى مكانى ، ثم ألتفت فورًا متابعةً إزاحة الصناديق :

ــ أبقها مستيقظة يا (نائل) ، أسعفها ، يجب أن ننجح يا (نائل) ، يجب !

يقف (نائل) فى بلاهة ، تسقط العجوز على الأرض ، لحظات ثمينة نضيعها فى ترهات :

ــ لكن ، ألا يجب أن ندعها تهلك ؟

يتحشرج الصــوت فى حلقى ، تختــرق صاعقة من الدقات صدرى ، تتسلل رويدًا نحو القلب :

ــ أرجوك يا (نائل) .. أرجوك ، حياتى معلّقة بك .

يرتبك (نائل) :

ــ حسنًا ، حسنًا ..

يركض نحوها ، تمتد الصاعقة خطوات للأمام ، يضرب وجهها برفق ويفك الزر الأول لقميصها ، تتراجع الصاعقة

Looloo
www.dvd4arab.com

خطوة للوراء ، ألتفت على عجل وأقوم بإزاحة الصندوق الأخير ، ومن ثم أعكف على رفع غطاء التابوت ، تمتد الصاعقة أكثر ، كم ثقيلة توابيت الفراعنة ! تقترب الصاعقة جدًا ، أحتاج قوتى لإزاحة الغطاء ، الصاعقة على أبواب القلب .. أهتف :

ــ تدليك القلب يا (نائل) ، تدليك القلب ..

ــ وكيف هذا ؟

ــ اضغط بيديك على منتصف الصدر ، ثم انفخ فى فمها .

أسند بيد قلبى ، وبالأخرى أدفع غطاء التابوت . تمتد الصاعقة خطوة ، خطوتين ، تتراجع دفعة واحدة للوراء ، تشهق العجوز ، أنجح فى إزاحة الغطاء عن أجمل مومياء فرعونية رأتها عيناى .. أحمل المومياء بكلتا يدى وأترنح نحو الباب ، يتركها (نائل) ، ويسندنى إلى أعلى .

تخرس القلادة على عنقى ، تهب (روزيت) واقفة ، وتحاول جذبى إلى الوراء ، يزيحها (نائل) فيما يمنعنى من الوقوع ، نتقدم إلى الأعلى تتبعنا العجوز ، أتوقف عند سور السفينة تحاوطنى ذراع (نائل) فيما تتشبث يده الأخرى بالسور . أرفع

يدىّ إلى أعلى بالمومياء ، ويحلو لى أن ألتفت للحظة إلى الوراء ، فأرمق العجوز وقد توقفت عن الركض ورفعت يديها على إثرى صارخة :

ــ لاااااااا !

أبتسم بنصف فمى ، وفى أقل من ثانية ألقى بالمومياء إلى القاع . تصرخ العجوز صرخة ترج السفينة ، أم علّها الأمواج ، أم محض عودة عمل المحرك ؟

تسقط العجوز بلا حراك فيما تبدأ السفينة بالحركة . دقائق قبل أن نترنح جميعًا فيما يهلل الضابط :

ــ إننا نتحرك ، إننا نتحرك .

تُرد الروح للركّاب ، يهتف الجميع هتافات السعادة والتكبير ، تنحل عقدة عن عنقى وأسمع لها دويًا على الأرض ، ولكنى إذ أنظر لا أرى شيئًا .. أتحسس عنقى فأشعر للمرة الأولى أننى : حرة . ألتفتُ إلى (نائل) تغمرنى السعادة :

ــ لقد نجحنا !

أوجّه نظره إلى جثة العجوز فيما أقول :

Loolo
www.dvd4arab.com

ـ تصوّر أنها كانت غاضبة لأنهم ينعتونها بالشريرة !

نستغرق فى الضحك .

~

يذيع القبطان بيانًا :

ـ « ركّاب السفينة برجاء الإصغاء . أصلحنا العطل بالمحرك وعادت السفينة للإبحار ، فيما تقترب العاصفة ومن المتوقع أن تصل إلينا خلال عشر دقائق ، ولتفادى أى ضرر برجاء النزول إلى الطابق السفلى وإغلاق الأبواب المؤدية للسطح . أكرر برجاء النزول إلى الطابق السفلى والتزام الهدوء » .

يعود الناس إلى الهياج ، تعلو الصلوات والأدعية فيما نتحرك للأسفل ، وبالأسفل ، ألمح المنسقة فى حالة انهيار ، فلا أتمالك نفسى من أن ألكزها بكتفها :

ـ هل أنت سعيدة الآن ، ما كان يحدث لو طاوعتنى ورسونا بميناء ما ؟

تصيح فيما تولول :

ـ لو نجونا من العاصفة سآمر فورًا بالعودة إلى (القاهرة) ، وملعونة المسابقة ومن يعمل بها !

يميل على (نائل) :

ـ حين تمر العاصفة بسلام ...

ثم يسكت ، أستحثه :

ـ مـــاذا ؟

يهمس شيئًا بأذنى .. فأدفع بقبضتى إلى كتفه .

Looloo
www.dvd4arab.com

خـاتمـة

(أيها الراحل تفكّر ؛ سلّمة الحاضر نخرة ، سلّمة الماضى ذكرى ، سلّمة الآتى خطِرة ، فتوقف تزن الخطوة ، وتأمّل .)

ما الذى أصابك (فانتوم) ؟ لم تكن هكذا قبـل الحكى ، كن عاقلاً وكف عن القسم على بالأحياء والأموات والأرواح المعلّقة بين العالمين أن أخبرك ما قال (نائل) !

* * *

العـدد القـادم

أمنيـات أبـدية :

« ثلاث فتيات ، وثلاث أمنيات ، والمصير واحد ! »

« بحثنا فى كل مكان ، نادينا وأرهفنا السمع للصدى ، تبعنا ـ حتى ـ أنوفنا ، لكنّا لم نجده . وفى اللحظة التى كففنا فيها عن الأمل ، ظهر على باب مخدع : منتصب القامة لا انحناء ، مفتوح العينين لا انغلاق ، ولا عكّاز ، ولا عَجَز .. ولا شىء .

لم أعرفه إلاّ حين التقط عصاه ، ردّ الباب ، انحنى ، أغمض عينيه ، ثم بسط يده قائلاً :

ـ لله .. امنحونى شيئًا لله !

جرينا إليه :

ـ يا عمّ ! نحن التقيناك سابقًا ومنحتنا عملة ، أتذكرنا ؟

فتح إحدى عينيه وتفحّصنا ، ثم أزاحنا بيده قائلاً :

ـ لا !

Looloo
www.dvd4arab.com

تابع مسيره ، فتبعتُه :

ــ بل التقينا ، تذكّر جيدًا . نحن خلّصناك من يد الفتيات ، ومنحناك نقودًا ، وأنت منحتنا عملة للتمنى .

وكأنه لم يسمعنى :

ــ لله يا محسنين ... لله ..

قلتُ بإصرار :

ــ أنا أريد منــك عملة أخــرى لإصلاح ما أفسدته الأمنية السابقة ، وسأعطيك كل ما تريد ، أى مبلغ مهما كان !

مد صوته فى مسكنة :

ــ للّـــــه !

أخرجتُ من حقيبتى كل ما كنتُ أملك من مال ، ووضعته فى يده ، فما طوى يدًا عليه وتركه يسقط ، واهتزت رأسه يمينًا ويسارًا فى تصوّف :

ــ لله ! لله ! لله ! لله !

نفد صبر (عصمت) ، أمسكت بياقة جلبابه وقرّبته إلى رأسها :

ــ أنا سأعطيك شيئًا لله ، سأعطيك لكمة تكفيكَ لعمرك كله .

حلتُ بينها وبينه :

ــ انتظرى فقط أرجوكِ ، علّه يمنحنا العملة .

ثم التفتُّ إليه أقول :

ــ يا سيّدى نحن أحسنا إليك ، وأنت أسأت إلينا ، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

ارتسمت على شفاهه شبه بسمة ، وقال :

ــ أنتن تردن العملة ، لكن هل فكرتن أن الأمنية إذا توقفت ، ستتوقف عنكن جميعًا ؟

قالت (عصمت) بنفاد صبر :

ــ لا شأن لك بما ليس لك به شأن ، فقط هات العملة .

نظر إلى (عصمت) بعمق ، وقال :

ــ هل تضحين بفارس أحلامكِ الذى أحببته برغم الأسوار ، بعدما لم تبقَ سوى ساعات لتلاقيه وجهًا لوجه ؟

والتفتَ إلى (مشيرة) :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وأنت ، هـل تخسرين حب عمـرك الذى همتِ من صورٍ وانعكاسات ، فيما بعد قليل ، سترينه بلحمه وشحمه ؟

نظرت (مشـيرة) للأرض ، قالت (عصمت) جازّة على أسنانها :

ـ كيف عرفت أمنيتنا ؟

ـ إنهـا أشـياء بديهية ، كـل الفتيـات يتمنين الزوج يا (عصمت) .

قالت (عصمت) حاكّة يديها ببعضهما ببطء :

ـ وكيف عرفت اسمى ؟

التمعت عينه بالغضب :

ـ أنـت تسألين أسـئلة غبيـة ! كيـف تسألينني (أنـا) : « كيف عرفت ما عرفت ؟! »

والآن ، أنت تعرف أكثر من اللازم !

إلى لقـاء !

أيها القادم إلى ، أيها الراحل عنى ، أيها العابر فوق أحرفى واطئًا جرحى ، داهسًا وجعى ، مبعثرًا نزفى ، مشاهدًا ـ عن كثب ـ حبى وخوفى وأعمق أسرار نفسى ، ثم مديرًا ظهرك إلى كأن لم تكن .

هدّئ مسيرك ، سأتبعك .

سنلتقى ، ولو لم تصل إلى ، لوصلت إليك . امكث جوار الحائط ، ادخل داخل الحائط ، اختبئ تحت فراشك ، أخفِ وجهك ، اكتم صـوتك ، ستكون لـك زلّة ؛ ستفضحك أنفاسك ، أو تسعل فجأة . ثم لن ينفعك طول الاختباء .

ها قد انتهيت ، ويمكننى أن أقول : « See you »

وبالعربية تصبح : « مصير الأحياء إلى لقاء ! »

مدونة (قصص رعب) :

www . kesasro3b . blogspot . com

horrorandlove@gmail . com

Looloo
www.dvd4arab.com

الحب والرعب 2

فى كتاب الحب والرعب سطر ، يضمن تدفق
الأدرينالين إلى دمك ، قبل أن يسفك دمك !

سالى عادل

كاهنة التيتانيك

مبارك ! تم قبولك متسابقا فى مسابقة الأدباء الشبان لأدب الرعب. تسأل : لماذا اخترناك ؟ أخشى أن الأمر أوضح من أن نخبرك. تسأل : لماذا نقيم مسابقتنا فى عرض البحر؟ أخشى أنه ليس من شئونك أن تتدخل. تسأل : لماذا يطلب الرجل الوحيد فى الكافيتريا فنجانين من الشاى ؟ أخشى أن هذا الأمر ليس محوريًا. تسأل : لماذا يصرخ الطفل المنغولى كلما رأى السيدة العجوز؟ أخشى أننا لن نتوقف لنجيب على كل سؤال عابر. تسأل : لماذا تدّعى المرأة العجوز أنها الكاهنة التى أغرقت التيتانيك؟ أخشى أنك بت تدس أنفك بأكثر مما يحتمله الأمر.

تسأل : لماذا لا أجيب عن أية أسئلة؟

أخشى أن أسئلتك قد فاقت الحد ، ألا تستحى من نفسك ؟!

31 / 12 / 012

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية

مطابع

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم